أمير الشعراء أحمد شوقي

نهج البردة

شرح الشيخ/ سليم البشري

شيخ الجامع الأزهر

الكتاب: نهج البردة

الكاتب: أمير الشعراء أحمد شوقي

شرح الشيخ / سليم البشرى

الطبعة: ٢٠١٧

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

شوقى ، أحمد

نهج البردة / أحمد شوقى

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

الترقيم الدولي: ٨– ٧٣ – ٥٧٧٢ – ٩٧٧

.. ص،.. سم.

أ – العنوان رقم الإيداع: ٥٣٣٧ / ٢٠٠٧

نهج البردة

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

اعتبرت قصيدة أحمد شوقي "نهج البردة" من أكثر قصائد شوقي إثارة للجدل بين الباحثين وهي قصيدة طويلة مكونة من ١٩٠ بيت عارض بها "شوقي" قصيدة "البردة" للبوصيري والتي يقول في مطلعها:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وكان مثار الجدل حول هذه القصيدة أن أمير الشعراء انتهج في نظمها خطوات الشعر العربي الكلاسيكي من أيام الجاهلية بما فيه من أوصاف وتشابيه بعيدة عن زمنه من هنا جاء الاتهام لشوقي بأن شعره يخلو من الصدق ولا يتناسب مع عصره.

ففي كتابه "خصائص الأسلوب في الشوقيات" قام الباحث محمد الهادي الطرابلسي في الفصل الثاني بتفصيل مطلع قصيدة "نهج البردة" بغية بيان: دلالة الصور في علاقات التشابه في الطبيعة الجامدة والطبيعة المتحركة فبعد أن يورد الباحث الأبيات السبعة الأولي يقول: ومؤدي هذا القول إن شوقي يضاعف لك في جمال

المحبوب ويغالي في المغالاة ليحملك على التسليم له في حبه والتتيم به وهو بهذه المغالاة يصيب أمراً آخر يفهم من السياق وهو المغالاة تبعاً في مقدار جلده والصبر على أمه والترفق به " كما يعتقد الكاتب أن "استطرادات" شوقي كما يسميها، لم تأت لأسباب فنية".

أما إيليا الحاوي في كتابه :" أحمد شوقى . أمير الشعراء"(الجزء الثانى) فإنه يعلق على الأبيات الخمسة الأولى قائلا "نجد أن الشاعر استهل استهلالاً تقليدياً، كما أنه عمد إلى الأوصاف المنهوكة في سنة القصيدة العزلية الحبيب مقيم بين البان والعلم وهذه الصورة معروفة في الجاهلية منذ أيام الصحراء الأولى".

فى حين ينقل شوقي ضيف عن محمد حسين هيكل قوله:"أما لغته (لغة شوقي) فتعتمد على بعث القديم من الألفاظ التي نسيها الناس وصاروا لا يحبونها، لأنهم لا يعرفونها، ولعل سر ذلك عند شوقي أن البعث وسيلة من وسائل التجديد، بل قد يكون البعث أحد وسائل التجديد نتيجة ما يوجد من أرباب اللغة ممن يفضون على الألفاظ القديمة روحاً تكفل حياتها والبعث"

كما يلتفت عبد المنعم شميس في كتابه:" شخصيات في حياة شوقي"، إلى أهم خصلة يتحلى بها شوقي:"أعظم شئ في شعر شوقي موسيقاه".

لكن عباس محمود العقاد الذي ألف كتابين لكي يثبت فيهما (لا شاعرية) أحمد شوقي، يعمد إلى مقارنة شوقي مع حافظ إبراهيم، وقد كان العقاد شديد التحامل على شوقي، ويعتقد أنه شاعر ألفاظ وصور خالية من الروح الشعرية، التي يجدها العقاد لدى حافظ إبراهيم – رغم قدرة شوقي في هذه الأبيات على خلق صور استعارية شديدة الإحكام في بنائها وفي مقاصدها، إلا أن هذا لا ينفي حقيقة أن تلك الصور ليست مبتكرة، وأن الابتكار لديه هو في إعادة صياغتها بطريقة متقنة وجميلة.

إن تقديمنا لهذه الآراء المتضاربة حول قصيدة "نهج البردة" وحول شعر شوقي ككل ، تهدف الي الإضاءة على الكتاب الذي بين أيدينا، ويشرح أبيات هذه القصيدة بغية إعادة قراءتها دون أي تحيز مؤيد أو رافض لها بل في ضوء ما كتب عنها وما جاء في شرحها ولعل البعد الزمني الذي يفصلنا عن هذه القصيدة قد يساعد أكثر في اكتشاف الرؤى أيضا لتتبع الجرس الموسيقي الذي يميز شعر شوقي عموما.

الناشر

"المليك المعظم مولانا الحاج عباس حلمي الثاني"

"مولاي"

"رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشي" "بنور العلم الفرد المغفور له "البوصيري" صاحب القصيدة الشهيرة" "(بالبردة) في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام فنظمت هذه الكلمة" "التي أسأل الله وأرجو من رسوله قبولها وجعلتها يا مولاي لحجتك" "المبرورة (تذكارها - ١٣٢٧) كلما تناقل الناس أخبارها وقد تفضل" "مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (الشيخ سليم البشري)" "فتكفل بشرحها للناس فدخلت البركة على أبياتها من كل مكان" "وحسن قبولها من المليك نهاية الإبداع والإحسان"

"عبدكم"

"شوقي"

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

لحضرة محمد بك المويلحي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد فإن الشعر ضرب من ضروب القول يتسع لكل غرض ويتناول كل مطلب والسابق فيه من يذهب به فنونا ويتشعب له القول فيه شعوبا وقد سبق لفحول الشعراء المتقدمين أنهم لم يتركوا سبيلا من المقاصد إلا سلكوه ولا بابا من أبواب المعاني إلا طرقوه فبينا تري الشاعر منهم يتنزل في شعره فيصنع قصيدته في وصف الفرس الأعوجي والبعير المهري والحمار الأخدري والقطا الكدري إذا هو يعلو صعدا في تقرير الحقيقة وتمجيد الفضيلة وتدوين الحكمة وضرب المثل ولا يزال ما قالوه إلى اليوم جديدا على الدهر والقد وهم من قال عنهم إنهم قصروا أشعارهم على حد من القول محدود وداروا به في مجال من المعنى محصور وأنهم قصروا أن يحيطوا بمتسع الأغراض في مظاهر

الحضارة وعجزوا عن الإلمام بما يتدرج فيه نظام البشر من سمو المدارك وعلو المقاصد فأجهدوا خيالهم واستنفدوا أقوالهم في أوصاف الإبل ونعوت الخيل وما لنا اليوم وللقول في تلك الإبل وللكلام عن هذه الخيل وأمامنا عجائب البخار وغرائب الكهرباء!

ولكن لم يكن ذلك منهم عن عجز فقد استوعبوا القول وأجادوا الوصف حتى إنه لنا من أشعارهم أنهم تجاوزوا أزمانهم إلى أزماننا وتناولوا في طريق مبالغتهم وإغراقهم ما يدور اليوم بين أيدينا ويصنع أمام أعيننا ومن ذا الذي توصل منا إلى الآن أن يصف سرعة القطار بمثل ما وصف به متنبي العرب سبق الخيل في قوله:

وأجل علم البرق فيها أنها مرت بجانحتيه وهي ظنون

أو قول أعمى المعرة:

ولما لم يسابقني شيء من الحيوان سابقن الظلالا

ولا يقال إن باللغة ضيقا لا يتسع لمجال القول في مستحدثات هذه الأزمان فإن اللغة العربية وسعت كل شيء في كل زمن وهذه كتبها الجفوة تشهد لمن يطلع عليها بسعة المادة دون كل لغة وإنما إهمال النظر فيها هو الذي دعا إلى هذا الوهم وحدا إلى ذلك الزعم.

وإذا كان الشاعر منهم اشتغل بوصف كلب الصيد في شعره فقال مثلا :

أنعت كلبا أهله في وده ... قد سعدت جدودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده ... يظل مولاه له كعبده
يبيت أدنى صاحب من مهده ... وإن غدا جلله ببرده
ذو غرة محجل بزنده ... يلد منه العين حسن قده
يا حسن شدقيه وطول خده ... تلقى الظباء عنتا من طرده
يشرب كأسا شدها في شده ... يا لك من كلب نسيج وحده

إذا هو يقول في مناجاته لربه ما لم يقله أعظم مشرح من أطباء الأفرنج ممن يتناولون الشعر اليوم:

يا من يرى مد البعوض جناحه ... في ظلمة الليل البهم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها ... والمخ في تلك؛ العظام النحل
أغرف لعبد تاب من فرطاته ... ما كان منه في الزمان الأول

وإذا صرف غيره شعره إلى وصف الثعبان مثلا فقال:

أهوى إلي باب جحر في مقدمه ... مثل العسيب ترى في رأسه نزعا
اللون أربد والأنياب شائكة ... عضل ترى السم يجري بينها قطعا
أصم ما ثم من خضراء أيبسها ... أو ثم من حجر أوهاه فانصدعا

فإن سواه من علماء الكلام والتوحيد يقول ما لم يقل مثله "فلا ماريون" حكيم الفرنساويين اليوم وشاعرهم الفلكي في سر الوجود وخفاء ماهية النفس :

والله لا موسي ولا عيسي المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو إلى محل العرش يصعد
كلا ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير أنك واحدي الذات سرمد
وجدوا إضافات وسلبا والحقيقة ليس توجد

ورأوا وجـــودا واجبـــا يفنـــي الزمـــان ولـــيس ينفـــد
فلتخسأ الحكماء عن حـــرم لـــه الأفـــلاك تســـجد
من أنت يارسطو ومن أفـــــلاط قبلـــــك يامبلـــــد
ومن ابن سينا حين قر ر مـــا هـــديت لـــه وشـــيد
هـــل أنـــتم إلا الفـــرا ش رأى الشـــهاب وقـــد توقـــد
فدنا فأحرق نفسه ولو اهتـــــدى رشـــــدا لأبعـــــد

وقوله:

قد جار في النفس جميع الوري والفكر فيها قد غدا ضائعا

وبـرهن الكـل علـى مـا ادعـوا ولـيس برهـان لهـم قاطعـا
مـن جهـل الصـنعة عجـزا فمـا أجـد رد أن يجهـل الصـانعا

فالشاعر المجيد من أهل هذا العصر من لم يهمل الأخذ بطريقة المتقدمين في شعره ولم ينم له الإحسان في قول الشعر إلا باحتذاء حسانتهم والعمل علي شاكلتهم.

ولقد وفق بحمد الله شاعرنا هذا أحمد شوقي إلى سلوك هذا السبيل في شعره فلم يقتصر علي قرض القريض في ما تجري عليه الأحوال في عصرنا الحاضر بل سار على نهج المتقدمين وانتح بمناحيهم في فنون الشعر واقتدى بهم في هذه القصيدة بما يسمونه بالبديعيات في مدح رسول الله ﷺ فبلغ أوج الإجادة ووصل إلى أعلى طبقات القريض وهي قول الحق وتقرير الصدق فتم له بذلك الإحسان المعني في قول الشاعر:

وإن أحسـن بيـت أنـت قائلـه بيـت يقـال إذا أنشـدته صـدقا

والشعر إذا كان على هذا الضرب تشاغل به العلماء وتنافس فيه الحكماء وأنزله أهل التقى والدين وأصحاب الورع واليقين منزلته من الإجلال والإعظام فلا بدع إذن إن انبرى لشرح هذه القصيدة

مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وهو من علمت سمو مكانته وعلو درجته أدبا وعلما ووقارا وحلما وفهماً وإفادة وتقى وعبادة وورعا وزهادة وأولئك لهم الحسنى وزيادة .

وإذا كان الشعراء عرفوا مواضع السجود في الشعر عند إنشاد قصائدهم بمجلس الخليفة في محضر العلماء حيث وصل أحدهم عدي بن الرقاع في إنشاد قصيدته إلى قوله يصف ولد الظبية وشبوب قرنه:

تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

فخروا كلهم ساجدين استحسانا للبيت فلما أخذهم من حضر من العلماء قالوا لهم لا تؤاخذونا إنا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن فإن لمولانا الشيخ شيخ العلماء أن يقول اليوم ونحن أيضا نعرف مواضع الصدق في الشعر فنحتفل به ونتقبله بأحسن قبول ولا يكون عندنا أبدا من مكروهه الوارد ذكره في الآيات البينات بل يكون من مستثناه فيها فإن المقصود من الآية في الشعراء بقوله تعالي : "والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون" هم أهل الكذب وفضول القول وأرباب الهجاء وتمزيق الأعراض

والقدح في الأنساب والنسيب بالحرم والإبهار ومدح من لا يستحق ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون السفهاء وقيل هم الشعراء الذين كانوا يقولون نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع إليهم الأعراب من قومهم يستمعون لهم أشعارهم وأهاجيهم مثل عبد الله بن الزبعري وهبيرة وأبي عزة الجمحي فهم أهل فتنة وباطل ومن يهيم منهم في مجاوزة حد القصة حتي يفضلوا أجبن الناس عيل عنترة وأشحهم علي حاتم وأن يبهتوا البري ويفقوا التقي ثم قال تعالى بعد ذلك "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا" فاستثنى الشعراء المؤمنين الذين إذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه وصلحاء الأمة وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون فيها بوزر ولا منقصة وكان هجاؤهم علي سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال تعالى "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم " وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم" وعن عمرو بن عبيد أن شريفا من العلوية قال له إن صدري ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه

فيما لا بأس به وجملة القول أن الشعر باب من أبواب الكلام فحسنه كحسن الكلام وقبيحه الكلام وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان وهو ينافر عنه "قل وروح القدس معك" .

والقول كذلك في تفسير الآية "وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين" أنه ما علمه بتعليم القرآن الشعر على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن وأين التقفية وزين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت "وما ينبغي له" وما يصح له ولا ينطلب لو طلبه أي أنه جعله عليه الصلاة والسلام بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأب له ولم يتسهل كما أنه جعله أميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض وعن الخليل "كان الشعر أحب إلى رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له".

وإن قصيدة تصنع في مدح الرسول وتوضع تذكارا لحج المليك ويكون شيخ الإسلام شارحها وشاعر الأمير قائلها.

من اللاتي أمد بهن طبع وهذ بهن فكر وانتقاد

لهي جديرة بأن تنحني لها الرؤوس إعظاما وإكبارا وتحنى عليها أحناء الضلوع ضنا بها وإيثارا وتستضيء بنورها البصائر وتعقد على نفاسها الخناصر وتشغف بها القلوب فتضمها في الشغاف وتنطوي الصدور على حفظها طي الغلاف ويتلوها العلماء والأدباء بترنح الأوصال وهزة الأعطاف ويتهادونها بينهم أبدع ما في باب الإتحاف والألطاف والله يتقبلها من قائلها قبولا حسنا وينفع السكين ببركة شارحها نفعا جما وهو ولينا ونعم المولى ونعم النصير.

محمد المويلحي

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم[1]

---

[1] "الرئم" بالهمزة ويخفف بقلب الهمزة ياء الظبي الخالص البياض والجمع آرام وفي لسان العرب . "وقلبوا فقالوا آرام" أه فهو كبئر وآبار قلبوا فقالوا أأرام علي وزان أعفال ثم سهلت الهمزة الثانية فقلبت الفاً جريا علي القاعدة من أنه رذا وقعت همزة ساكنة أثر همزة متحركة قلبت من جنس حركتها – "القاع" الأرض السهلة المطمئنة التي لا حزونة فيها "البان" جمع بانة ضرب من الشجر – "العلم" الجبل– "الأشهر الحرم" اربعة ثلاثة متتابعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب .

وكانت العرب لا تستحل فيها القتال فإذا هي أوفت بهم أغمدوا سيوفهم وينهضوا إلى أسواقهم فتعاملوا فيها وتناشدوا الشعر ومشى القرن إلى قرنه مسالما كأن لم يكن بينهما بالأمس دم ولم يطالب أحدهما صاحبه بوتر وكذلك كان حكمها في الإسلام ثم نسخ ومضى فيها حل القتال وقال عطاء بعدم النسخ وحرمة القتال فيها وهو ضعيف.

المعنى أن المحبوبة السانحة في ذلك الموضع كأنها الظبي في حسنة ورشاقته قد قتلته صبابة بها وولها عليها وأسرفت عليه حتى أنها استحلت دمه في الشهور التي تحقن فيها الدماء ويحرم فيها القتال حتى بين الموتور والواتر ويمشي فيها السلم بين المثؤور والثائر.

وفي الشطر الثاني الطباق بين قوله "أحل" وقوله" الحرام" ولا يذهب عن القارئ ما في البيت من براعة الاستهلال

رمـــى القضـــاء بعينـــي جـــؤذر يا ساكن القاع أدرك ساكن الأجم[1]

أسـلما رنـا حـدثتني الـنفس قائـل ياويح جنبك بالسهم المصيب رُمي[2]

---

[1] (الجؤذر) ولد البقرة الوحشية "الأجم" جمع أجمة الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الأسد.

يريد "بالجؤذر" تلك المحبوبة التي شبهها في البيت السابق "بالريم" تشبيها لها بالجؤذر في جمال عينيه واتساعهما ويريد "بالأسد" نفسه لما له من شجاعته وإقدامه.

المعنى أن المحبوبة رمته من عينيها النجلاوين بمثل ما يرمي عن القوس من السهام وقد وصل تلك الرمية "بالقضاء" تقريرا للعقيدة الصحيحة من أن كل واقع بقضاء الله تعالي وقدره وفي الشطر الثاني يستغيث للمقتول بالقاتل لا منه ويستنجد للأسد بالغزال وهو بديع .

[2] (رنا) يرنو رنوا والرنو إدامة النظر مع سكون الطرف

و"يا ويح" كلمة تقال لمن وقع في الشدة والمكروه يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه قال الأزهري "الفرق بين ويح وويل أن ويل تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لا يترحم عليه وويح تقال لكل من قوع في بلية يرحم ويدعي له بالتخلص منها " قال "وأصل ويح وويس– كلمة رأفة واستملاح – وويل كله عندي وي وصلت بحاء مرة وبسين مرة وبلام مرة .

المعنى يقول أنه أحس عندما سدد الحبيب نظره إليه بأنه قد ملك عليه لبه وأن سهم لحظة قد مضى إلى صميم قلبه وتطلب لجنبه لأنه جحدتها وكتمت السهم في كبدي جرح الأحبة عندي غير ذي ألم رزقت أسمح ما في الناس من خلق إذا رزقت التماس مثوى القلب الشفقة والمرحمة مما أخذ فيه من الوجد وشاع فيه من الصبابة .

جحدتـه وكتمـت السـهم فـي كبـدي جـرح الأحبـة عنـدى غيـر ذى ألـم[1]

رزقـت أسـمح مـا فـى النـاس مـن خلـق إذا رزقـت التمـاس العـذر فـي الشـيم[2]

---

[1] (جحدتها) الجحود الإنكار مع العلم..

المعني لم يتشك من تلك الرمية بل لم يعالج استلال السهم من كبده وزعم أنه لم ينله ألم من أثر ذلك السهم الذي انتظم كبده تنزيلا للألم منزلة عدمه مادامت مرامية عيون الأحبة

قال الشاعر:

"فما لجرح إذا أرضاكم ألم"

وقديما كان ذلك شأن العشاق فيما ينزل بهم من آلام الوجد والهوى لا يطلبون أسباب السلامة منها بل تراهم يتطلبون زيادتها لأنها من لوازم الحب ولا خلاص لهم منها إلا بخروجهم منه .

روى أهل الأدب أن مجنون بني عامر لما أدنفه حب ليلي انطلق به إلي البيت الحرام نفر من أهله وقالوا له لو تعلقت بأستار الكعبة فدعوت الله تعالي أن يبرأك من حبها كنت حقيقا أن يستجاب دعاؤك فتشبث بستور الكبعة وقال "اللهم زدني في ليلي حبا" فجن من ذلك الحين جنونه وهام في بطون الأودية ومسارب الوحش حتى وافقته منيته .

وقال الشاعر

ويا حبها زدني جويكل ليلة ويا سلوة الأيام وعدك الحشر

[2] "الشيم" جمع شيمة وهي الخلق والطبيعة

المعنى يقول إن أنفس الأخلاق وأكرم الخلال أن يطبع الإنسان على التماس

يـا لائمـي فـي هـواه والهـوى قـدر لـو شـفّك الوجـد لـم تعـذل ولـم تلـم[1]
لقـــد أنلتـــك أذنـــا غيـــر واعيـــة ورب منتصـــت والقلـــب فـــي صـــمم[2]
يا ناعس الطرف لا ذقت الهوى أبدًا أسـهرت مضـناك فـي حفـظ الهـوى فـنم[3]

المعاذير للناس فيما تقع عليه نفوسهم مما يحسب من مواضع العيب ومساقط الضعف والبيت بمثابة التمهيد للبيت الذي يليه كأنه توقع أن يلومه لائم على الحال التي صارت به إلى ما ذكر من تعرضه للقتل واستهدافه للسهام فقدم بقوله "رزقت أسمح ما في الناس البيت" فضل الإمساك عن اتباع عثرات الناس وطلب عوراتهم وفصل في البيت الآتي عذره تفصيلا

[1] (شفه) الوجد هزله وأنحل جسمه

المعنى يقول يا من يلومني في هذا الهوى ما كان لك أن تفعل وهذا شيء قدره الله علي ووصله بقلبي ولو أنه لحقك الهوى وأخذ فيك الوجد ونالك ما ينال أهله من السقم والوهن ما أسرعت إلى العذل واللوم .

وقال صاحب البردة في هذا المعنى

يا لائمي في الهوى العذرى معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم

[2] (انتصت) سكت سكوت مستمع.

وفي الشطر الثاني من البيت الطباق بين قوله "منتصت" وقوله "في صم" . وقال أصله في هذا المعني

محضتني النصح لكن لست أسمعه إن المحب عن العذال في صم

[3] (الناعس) الوسنان (الطرف) بالفتح العين (المضنى)

أفديك إلفا ولا آلو الخيال فدى أغراك بالبخل من أغراه بالكرم[1]

الذي أثقله المرض و"مضناك" الذي أضنيته بما لحقه من الوله عليك..

المعنى يخاطب معشوقه وقد أخذته عينه فبات لا يسهده وجد ولا يؤرقه شغل بهوى على حين لا يغشى الكرى مقلتي عاشقه ويدعو له بالسلامة من الهوى لئلا يناله ما ينال أهله من السهد والأرق.

وفي الشطر الثاني من البيت الطباق بين قوله "أسهرت" وقوله "فم"

[1] (آلو) الآلو هنا المنع والتقصير – (أغراه) بالشيء زينه له وحرضه عليه.

المعني جعل نفسه فدى للمحبوب من المكاره وقال أنه لا يضن بهذا أيضا على خياله على ما بينهما من التباين في الخلق والعادة لضن الأول وطول تجنيه واحتجابه، وكرم الخيال بكثرة تردده وطروقه ولعل "المغري" لكل منهما على ما سمعت العشق فإنه من شأنه أن يبعث المعشوق على النفور ولا يبرح ممسكا على ظله وصورته في مخيلة العاشق لا يفلتها في يقظة أو منام .

قال الشاعر

أريد لأنسي ذكرها فكأنما تمثل لي ليلي بكل سبيل

وقال الشاعر

ما سرت إلا وطيف منك يصحبني سرى أمامي وتأويبا على أثري

لوحط رحلي فوق النجم رافعه ألفيت ثم خيالا منك منتظري

سرى فصادف جرحا داميا فأسا ورب فضل على العشاق للحلم[1]

من الموائس بانا بالربى وقنا اللاعبات بروحي السافحات دمي[2]

السافرات كأمثال البدور ضحى يغرن شمس الضحى بالحلي والعصم[3]

---

[1] (سرى) السرى المشي في الليل – (أسا) الجرح يأسوه داواه .

المعنى يريد أن طول هجر المحبوب له وانقطاعه عنه قد أسال مهجته شوقا له وحنينا إليه حتى إذا تطلع له في عالم الرؤيا سكن به فؤاده وابتردت من تلك اللوعة كبده وذلك من فضل الأحلام على العشاق فإنه إذا فاتتهم رؤية المحبوب يقظة وافقهم طيفه مناما وربما احتال المهجور على النوم يتوسل به إلى لقاء المحبوب والظفر بخياله .

قال الشاعر .

وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس في السر خاليا

وأني لأستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقي خياليا

[2] (الموائس) جمع مائسة وهي المتبخترة (البان) ضرب من الشجر واحدتها "بانة" يشبه القوام باغصانها للدونها –"القنا" جمع قناة وهي الرمح– "السافحات" سفح الدم سفكه وأساله.

المعنى – شبه تثنيهن ولدونة أعطافهن بأغصان البان إذا مستها نفحة الصبا. وأبلغ ما يكون ذلك إذا كانت على مرتفع من الأرض. وشبههن أيضا بالقنا لدقتها وكثرة اهتزازها واضطرابها في أيدي الطاعنين.

[3] (السافرات) يقال سفرت المرأة كشفت عن وجهها (الحلي) ما تزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة والجمع (الحلي).

القــاتلات بأجفــان بهــا ســقم وللمنيــة أســباب مــن الســقم[1]
العــاثرات بألبــاب الرجــال ومــا أقلن من عثرات الدل في الرسم[2]

(العصم) القلائد جمع عصمة كعنب وعنبة

[1]المعنى يقول أنهن يقتلن بعيونهن المراض، والمرض كثيرا ما يفضي إلى الموت ويكون سببا فيه ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل.

[2] (العاثرات) العثرة الزلة والسقطة و"أقاله من عثرته" أنهضه منها "الدل" في الصحاح الدل قريب المعني من الهدى وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك "الرسم " حسن المشي.

المعنى: شبه وقوع هواهن في كل قلب صادفنه بالعاثر الذي تزل به قدمه في الطريق الحزن وجعل القلوب مجازا لهن واعتراضها موطيء أقدامهن يخضن فيها ويسلكنها سلوك المتعثر فيقعن في القلب بعد القلب كما يقع العاثر في الحفرة بعد الحفرة من المعاني البديعة.

وفي الشطر الثاني جعل لهن من جمال المنظر وحسن المشية عثرات ولعله سماها "بالعاثر" أيضا إذ كان لهن ما له من الميل والاهتزاز أوانه أراد التعثر الحقيقي إذ أنهن يتعثرن في ثيابهن لطولها وتثنيهن.

ويريد بقوله "وما أقلن" إن ذلك شيء ملازم لهن وإن عثرات الدل مقصودة بالطبع لا إقالة منها بخلاف سائر العثرات وقوله "في الرسم" احتراس لطيف.

المضرمات خدودا أسفرت وجلت عن فتنة تسلم الأكباد للضرم[1]
الحاملات لواء الحسن مختلفا أشكاله وهو فرد غير منقسم[2]
من كل بيضاء أو سمراء زينتا للعين والحسن في الآرام كالعصم[3]

---

[1] "الضرم" اشتعال النار

المعنى يقول إن لهن خدودا كالنار في حمرتها وتوهجها يفتتن بها عقل رائيها وتتحرق لها كبد عاشقها.

[2] "اللواء" العلم و"حمل لواء الحسن" كناية عن نهاية البراعة فيه .

المعني يقول: أنهن قد تنوعت ضروب جمالهن واختلفت فيهن أقسام الحسن والحسن في ذاته شيء واحد قد رمين به جميعا وقد أوضح هذا في البيت الذي بعده.

[3] (العصم) جمع أعصم الذي فيه "العصمة" بالضم وهي بياض اليدين والعصماء من المعز البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو أحمر. وحرك الصاد اتباعا لحركة العين قبلها

المعنى بين في هذا البيت إن اختلافهن بالبياض والسمرة لا ينافي أنهن جميعا حسان ألا ترى أن الحسن في الآرام وهي الخالصة البياض مثل الحسن في أخواتها التي نهض بياضها في سوادها وهي العصم؟

وصح تثنية الضمير في قوله "زينتا" لأن "أو" في البيت للتنويع

يـرعن للبصـر السـامي ومـن عجـب إذا أشـــرن أســـرن الليـــث بـــالغنم[١]
وضـعت خـدي وقسـمت الفـؤادربي يـرتعن فـي كـنس منـه وفـي أكـم[٢]
يـا بنـت ذي البلـد المحمـي جانبـه ألقاك في الغاب أم ألقاك في الأطم[٣]

---

[١] (يرعن) يخفن – (العم) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة

المعنى يقول أنهن يخيفهن ويذعرهن نظرة المحب إليهن ويعجب لهذه الرقة وهذا الخور فيهن مع أنهن إذا أشرن إلي الليث وهو أشد الحيوانات وأقواها بأطراف البنان المخضوبة فقد ذللنه وأسرنه بحسنها ورقتها .

وفي البيت الجناس بين قوله "أشرن" وقوله "أسرن" .

[٢] (وضعت خدي) وضع الخد هنا كناية عن الخضوع والاستسلام "الكناس" بضمتين جمع كناس وهو مستقر الظباء في الشجر "الأكم" جمع أكمة وهي الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله.

المعنى يقول: أنه أذعن لحبهن ووهب لهن فؤاده وجعله لهن مقبلا وملعبا يريد تمكن حبهن من قلبه وتفرغه للاشتغال بهن دون كل شيء سواهن.

[٣] "اللبد" جمع لبدة وهي الشعر المتراكب بين كتفي الأسد "الغاب" جمع غابة وهي الشجر المتكاتف "الأطم" القصر وكل حصن مبني بالحجارة.

المعنى التفت إلى محبوبته يقول لها يا بنت الرجل الذي هو كالأسد

ما كنت أعلم حتى عن مسكنه إن المنى والمنايا مضرب الخيم[1]
من بنت الغصن من صمصامة ذكر وأخرج الريم من ضرغامة قرم[2]

في بأسه وعزه وامتناع حماه خبريني أين أقابلك في الغاب مسكن الأسود أمثال أبيك؟ أم في القصر حيث تنزل الغانيات أمثالك؟ ويا بعد ما بين المنزلين..!

[1] عن الشيء بأن وظهر – (المنايا) جمع المنية وهي الموت

المعنى يريد "بالمنى" محبوبته أو لقاءها و"بالمنايا" أباها أو لقاءه مبالغة و"مضرب الخيم" المكان الذي تضرب فيه وتقام أي حيث تننزل تلك المحبوبة في جوار أبيها. وفي البيت الجناس

[2] (الصمصامة) السيف – (الضرغامة) الأسد – (القرم) شديد الشهوة إلى اللحم وهي هنا كناية عن شدة البأس والافتراس .

أراد "بالغصن" و"الريم" معشوقته و"بالصمصامة" و"الضرغامة" أباها .

المعنى: يتعجب من أنه كيف يولد لمثل هذا الرجل الشبيه بالسيف في صلابته ومضائه مثل هذه المعشوقة التي هي كالغصن في اللدونة ولطف التثني . وأيضا كيف يكون لمن يشبه الأسد في قوته وسطوته وبأسه مثل هذه التي تشبه الغزال في رقته وضعفه.

بيني وبينك من سمر القنا حجب ومثلهـا عفـة عذريـة[1] العصـم[2]

لم أغش مغناك إلا في غضون كري مغنـاك أبعـد للمشـتاق مـن إرم[3]

---

[1] (العفة العذرية) نسبة لقبيلة بني عذرة، اشهر شبابها بالعشق والعفاف.

قيل لفتى من فتيانها كيف يقتلكم العشق وتذهب بنفوسكم الصباية؟

فقال لأن في نسائنا جمالا وفي رجالنا عفة

[2] (لعصم) جمع عصمة وهي المنع والحفظ

المعنى يقول أنه ليمنعني من طروق دارك مانعان شديدان أحدهما ما أقامه أهلك حولك من سمر القنا والثاني ما ينهاني من خلقي ويزجرني من عفتي التي هي كعفة بني عذرة.

لم يبتئس بما حاطها أهلها دونه من أسباب القوة ولم يجعله مانعا وحده من موافاتها في كسر بيتها فإن العاشق إذا صدقت صبابته وأسرف فيه الهوى خاض إلى محبوبته ظبى السيوف ومشى إليها على أطراف الأسنة لا يلويه شيئ، وكثيرا ما تغافل العاشقون الأحراس ومشوا إلى هواهم في سر من العذال والرقباء غير متحشمين لادر درهم ولا وجلين.

قال الشاعر:

تجاوزت أحراسا إليها ومعشرا على حراصا لو يسرون مقتلي

ولكنه جعل من عفتها مانعا ومن خلقهما حاجبا . قال الشاعر:

ويا عفتي مالي ومالك كلما هممت بأمر هم لي منك زاجر

[3] (عشي) المكان وافاه– (المغني) المنزل الذي غني به أهله – (الكرى) النوم– (ارم) هي إرم ذات العماد التي ورد ذكرها في القرآن الكريم قيل هي مدينة فقيل الإسكندرية وقيل دمشق وقيل إنها كانت ببلاد اليمن تسكنها عاد ثم درست آثارها ويؤخذ من تاريخ سبائك الذهب للبغدادي مثل ذلك .

والأصح أنها قبيلة بدليل قوله تعالي "ألم تر كيف فعل ربك بعاد أرم ذات العماد" على الإبدال أو عطف البيان، وفي قراءة "بعاد إرم" على الإضافة التي للبيان أو إضافة الابن للأب.. ويؤيده ما قيل في تفسير قوله تعالي "بعاد إرم" من أن إرم أبو عاد وهو إرم بن عوص بن سام بن نوح .

وعلى هذا فقوله تعالى "ارم ذات العماد" أي ذات الشمم والرفعة والعلو، ومنه قولهم فلان طويل النجاد رفيع العماد ولا عبرة بما احتمله بعض القصاصين من أنه كان ثمت مدينة مبنية بالذهب والفضة وأن عمدها كانت مرصعة باليواقيت والجواهر إلى غير ذلك مما خرفوا به وتخرصوا فيه .

والصحيح أن الكلام في قوله تعالي "لم يخلق مثلها في البلاد" على تقدير المضاف أي مثل أهلها في البأس والقوة على حد قوله تعالى "واسأل القرية" أي أهلها .

ولا حاجة إلى تقدير المضاف إذا كانت اسم قبيلة كما هو الأصح والله أعلم .

المعنى يقول إني لما ذكرت من الحوائل بيني وبينك لا أزور دارك إلا في المنام إذ لا يستطيع أن يمنعني من ذلك مانع أما في غيره فدارك على قربها أبعد من إرم على بعدها وامتناعها لما يطوف بها من تلك الحوائل الشديدة.

قال الشاعر:

وإن مقيمات بمنعرج اللوى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

وقرب الدار على هذه الحال أدعى إلى شدة الوجد وزيادة أسباب الشوق . قال الشاعر:

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

يا نفس دنياك تخفي كل مبكية وإن بدا لك منها حسن مبتسم [1]

---

[1] (المبتسم) بمعنى المصدر أي الابتسام ويجوز أن يراد به الموضع أي الثغر والإضافة فيه من إضافة الصفة للموصوف .

المعنى يعظ نفسه ويحذرها الاغترار بالدنيا وزينتها وينهاها عن الانخداع بأسباب زخرفها وإقبالها فإن وراء ذلك ما يبكي من جسيمات الحوادث وعظيمات النوازل .

قال الشاعر:

وأبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار
هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم مني ابتسام فقولي مضحك والفعل مبكي

وترى الشاعر قد اقتضب القول اقتضابا وانتقل من فن إلى فن وهجر الغزل والتشبيب إلى ذم الدنيا والتحذير من كيدها ومكرها بدون مناسبة ظاهرة.

والاقتضاب كما قال العلماء مذهب الجاهليين والمخضرمين وقد وقع الكثير منه في كلام المحدثين ومن أشهر ما اشتهر منه قول أبي تمام

لو رأى الله في الشيب خيرا جاورته الأبرار في الخلد شيبا
كل يوم تبدي صروف الليالي خلقا من أبي سعيد عجيبا
طاب فيه المديح والتذ حتى فاق وصف الديار والتشبيبا

قالوا: ومن الاقتضاب ما يقرب من التخلص كقول القائل بعد البسملة والحمدلة "أما بعد" وإنما قرب من التخلص لأنه يشوبه شيء من المناسبة.

وأنت ترى أنه لا مناسبة بين ذم الشيب وتهجينه وبين ما تبدي صروف الليالي من غرائب أخلاق الممدوح وعجائب سجاياه.

وإذا أخطأت نظرتك الأولى وجه المناسبة بين قول الشاعر "يا نفس– دنياك– البيت " وبين معني ما تقدمه وافقته ولا محالة نظرتك الثانية .

ولست تراه قد تغزل وتشبب وعرض جنبه للسهام وجسمه للسقام وذاب شوقا على تلك المعشوقة التي ألقت بين جفون عينيه أشد الحرقة وفرقت بين أهدابها أبلغ الفرقة حتى إذا حدثته نفسه بطلبها والوصول إليها كانت أمنع عليه من ساكن الأجم وكان مغناها أبعد للمشتاق من إرم ففاء إلى نفسه وعلى أن الدنيا قد فتنته وعبثت به حتى جعلت له إلى مناه أسبابا أوهن من خيوط الشمس، ومازالت به تهون عليه طلب المحال وترسله في طريق الأماني والأحلام حتى تصرمت آماله وتقطعت به حباله فأنشأ يذم هذه الدنيا وينعي عليها لؤمها وغدرها ويحذر الناس فتنتها ومكرها ورجع نفسه بعد الضلالة إلى الصواب وضرب بينها وبين باطل الدنيا بأمنع حجاب .

قال الشاعر:

رددت إلى التقى نفس فقرت كما رد الحسام إلى القراب

فضي بتقواك فاها كلما ضحكت كما يفض أذى الرقشاء بالثرم[1]
مخطوبة منذ كان الناس خاطبة من أول الدهر لم ترمل ولم تنم[2]

---

[1] (الرقشاء) من الحيات المنقطة بالسواد والبياض وأذى الرقشاء سمها – (الثرم) كسر السن من أصلها .

المعنى: يقول لنفسه اصرفي عنك كيد الدنيا وبلاءها بالزهد فيها وعدم التطلع إلى نعيمها الموبق والتزمي طاعة الله كلما تبرجت لك وإرادتك على الوقوع في مناكرها ووصلت بباطل وعدها أسباب أملك ورجائك كما تتقي الحية بكسر سنها وإهراق سمها .

قال الشاعر:

ما كان أشأم إذ رجاؤك قاتلي وبنات وعدك يعتلجن ببالي
فالآن يا دنيا عرفتك فاذهبي يا دار كل تشتت وزوال

[2] (لم ترمل) أرملت المرأة إذا مات عنها زوجها

(لم تئم) آمت المرأة من زوجها تئيم . والأيم التي لا زوج لها سواء كانت بكرا أو كان لها زوج وفقدته.

المعنى يقول أنه مازال الناس من أول عهدهم بالحياة راغبين في الدنيا متطلعين إلى نعيمها ومازالت هي راغبة فيهم متوسلة بأسباب فتنتها إلى عقولهم فلا هي تتركهم وتسكن عنهم ولا هم يفترون عنها ويزهدون فيها وشبهها وإياهم في فرط الرغبة واتصال أسباب الألفة بالمرأة المخطوبة التي لم يصدع بينها وبين خطيبها موت ولم تنزل بهما فرقة.

يفني الزمان ويبقى من إساءتها جرح بآدم يبكي منه في الأدم[1]
لا تحفلي بجناه أو جنايتها الموت بالزهر مثل الموت بالفحم[2]

---

[1] (الأدم) الجلد..

المعنى يقول مع أن حالها وحال الناس ما ذكرنا فإن إساءتها ما تنتهي حتى إن آدم "عليه السلام" وهو أول الناس لا ينسى كيدها ومكرها إلى آخر الزمان، وفي البيت الجناس بين آدم والأدم.

[2] (الجنى) ما يجتنى من الشجرة ويقطف من ثمرها . قال تعالى "وجنى الجنتين دان".

المعنى: رجع إلى نفسه يروضها على عدم الاكثرات بالدنيا وينهاها أن تخف لذائذها أو تتكره إذا جاورتها آلامها . قال الشاعر :

لا أستقيل زماني عثرة أبدا ما شاء فليأت إن الشهد كالصاب

ويعلمها أن سعادة الدنيا وشقاءها بمنزلة سواء وكلاهما ألم غير أن أحد الألمين يدخل على النفس غير متنكر ولا خادع والآخر يستأذن عليها من أبواب غفلتها فيتزين لها ويتجمل حتى يصيب موضع الضعف منها ويجري عندها مجرى اللذائذ الحقيقية.

وقد ضرب الشاعر لهذا مثلا بالموت بالفحم والموت بالزهر فإنه من أثر الاختناق على كلتا الحالتين سواء كان هذا الاختناق من دخن الفحم أو من أرج الزهر .

كـم نـائم لا يراهـا وهـي سـاهرة لـولا الأمـاني والأحـلام لـم يـنم[1]
طـورا تمـدك فـي نعمـي وعافيـة وتـارة فـي قـرار البـؤس والوصـم[2]
كـم ضـللتك ومـن تحجـب بصـيرته إن يلق صـابا يـرد أو علقمـا يسـم[3]

---

[1] يريد بالنائم المغتر بالدنيا الغافل عن مصائبها وغيرها..

المعنى يقول إن كثيرا من الناس قد سكنوا إلى الحياة الدنيا واطمأنوا بها وذهلوا عما يجري فيها من الآيات والعبر وهي عاملة فيهم ترميهم بأصناف الكيد وتضطرهم إلى أبواب الضر والأذى ولو أنهم فطنوا لها ولم تخدعهم بباطل ما تمنيهم وتعدهم ما ذاقت أجفانهم الغمض ولا وجد الكرى إلى عيونهم سبيلا. قال الشاعر :

الليل يعمل والنهار نحن عما يعملان بأغفل الغفلات"

[2] (الوصم) بالتحريك الألم والمرض يقال وصمته الحمى فتوصم أي آلمته فتألم.

المعنى يقول إن الدنيا لا تستقر في شأن الإنسان على حال فمرة تصله بوجوه العافية والنعم ومرة ترميه بضروب الشقاء والألم وهذا التقلب في طبيعتها دليل على ضعتها وهوادة شأنها .

قال الشاعر:

لا تحمد الدهر في بأساء يكشفها فلو طلبت دوام البؤس لم يدم

[3] (الصاب) جمع صابة شجر مر (العلقم) الحنظل "يسم" .

يـا ويلتـاه لنفسـي راعهـا ودهـا مسودة الصحف في مبيضة اللمم[1]

سام يسوم رعى يرعى

يقول لنفسه كثيرا ما فتنتك الدنيا ومن تفتن فقد سلبت عقله وملكت عليه حسه حتى إنه ليتجرع الصاب يراه من ألطف أنواع الشراب وينال من الحنظل يجده من أطيب ألوان الطعام .

"والشري أزاي عند أكل الحنظل"

كل هذا كناية عن استرسال الناس في طلب الشهوات الحقيرة يظنونها لضعف فطرهم لذائذ حقيقية وهي في الحقيقة أوجاع وأسقام ويتحلبون على متاع الدنيا وهو زائل فان.

[1] (ياويلتاه) ويل مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب يقال ويله وويلك وويلي قال الأعشى

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل

وحذف المفعول في قوله "دها" أي دهاها . قال تعالى "ما ودعك ربك وما قلى".

"اللمم" جمع لمة وهي الشعر يجاوز شحمة الأذن "مسودة الصحف" كناية عن العمل الشيء "ومبيضة اللم الشيب والإضافة فيهما من إضافة الصفة للموصوف .

المعنى: يتفجع على نفسه وقد أخافه وخلع قلبه ما رآه من نهوض الشيب في رأسه "وهو إنذار بدنو الأجل واقتراب ساعة الحساب .

ركضتها في مربع المعصيات وما أخذت من حمية الطاعات للتخم[1]

ولم يره قد ادخر لآخرته عملا صالحا تبيض به صحيفته يوم تنشر الصحف وتجزى كل نفس بما عملت وهم لا يظلمون .

[1](ركضتها) أصل الركض تحريك الرجل ويقال ركضت الفرس برجلي إذا استحثته ليعدو والمراد هنا مجرد إطلاق النفس وإرسالها في طريق غوايتها وفيه تشبيه النفس بالسائمة تشبيها مضمرا في النفس على سبيل الاستعارة المكنية .

(المربع) الخصيب و(مربع المعصيات) من إضافة المشبه به للمشبه أي المعصيات التي هي شبية بالمرعى المربع تستطيبه الدابة ففيه تشبيه ضمني لمن يرسل نفسه في المعاصي بالبهيم الذي يستطيب المرعى ويسترسل فيه .

(حمية الطاعات) كذلك من إضافة المشبه به للمشبه أي الطاعات التي شبيهة بالحمية وفيه أيضا تشبيه ضمني لمن يتعفف عن مساورة المعاصي بمن يمسك نفسه أن ينال ما يهيضه من ألوان الطعام .

(التخم) جمع تخمة قيل هي فساد الطعام في المعدة وقيل فساد المعدة بالطعام وقوله (للتخم) أي للتحرز عن التخم.

المعنى فصل في هذا البيت ما أجمل في البيت السابق بقوله "مسودة الصحف" فقال أنه أطلق نفسه في فنون الشهوات وأسرف في تناول المعصيات كما يطلق في المرعى الخصيب ما احتمى عنها .

هامت على أثر اللذات تطلبها والنفس إن يدعها داعي الصباتهم [1]

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه فقوِّم النفس بالأخلاق تستقم [2]

ولا تحسب لعواقبها بطاعة الله تعالى واجتناب ما نهى عنه كما يحتمي الآكل عن الطعام الضار وإن التذ طعمه وطاب مذاقه.

[1] (هامت) الناقة على وجهها ذهبت ترعى

(داعي الصبا) اللهو والشباب والفترة..

المعنى يقول إن نفسه انطلقت في التماس اللذات وتحصيلها وذلك شأن النفوس متى كانت في عنفوانها وتعرفت إليها اللذات وتيسرت لها السبل إلى اقتراف المنكرات إلا إذا أدركها لطف الله تعالى وتولاها بحفظه وعصمته فدرجت على الطاعة وسلكت في شباب سنها سبيل الهدى والعافية، وقد عد النبي ﷺ هؤلاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله قال "وشاب نشأ في طاعة الله" وقال ﷺ "أحب الخلق إلى الله تعالى شاب تائب وأبغض الخلق إلى الله شيخ مصر على معاصيه".

وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل

[2] المعنى شرح في الأبيات المتقدمة على تلك النفس وأدوائها وقرر في هذا البيت طبها ودواءها وأنه لا منجاة لها ولا عاصم يعصمها من التحدر في تلك المهالك إلا بتربية الأخلاق الكريمة وإنماء ملكة التقوى حتى يكون منها بين النفس وبين الرذائل حجاب غليظ فلا تطولها

والنفس من خيرها في خير عافية والـنفس مـن شـرها فـي مرتـع وخـم[1]

تطغى إذا مكنت من لذة وهوى طغي الجياد إذا عضت على الشكم[2]

شهوة ولا تسطو عليها منقصة . قال الشاعر:

لنعم فتى التقوى فتى ضامر الحشى خمـيص مـن الـدنيا نقـي المسـالك

فتـــي ملـــك اللـــذات لا يعتبدنـــه ومـــا كـــل ذي لـــب لهـــن بمالـــك

وذلك أبلغ حال لإمساك النفس وتعففها

لا ترجـــع الأنفـــس عـــن غيهـــا مـــا لـــم يكـــن منهـــا لهـــا زاجـــر

ومن أمثال ما يروى من الشعر في فضل الأخلاق وأثرها في النفوس قول صاحب القصيدة نفسه "

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقد جرى في البيت مجرى المثل

[1] (المرتع) رتعت الماشية ترتع رتوعا أكلت ما شاءت و(ترتع) تنعم والمرتع موضع الرتوع (الوخم) الردئ الوبئ.

المعنى يريد أن النفس مادامت آخذة بخير الخلال وأكرمها فهي أعلى السعادات وأوفاها وإذا أمسكت بمرذولها وأخذت بالدون منها صارت لا محالة إلى شر حال وكان عاقبة أمرها خسرا .

[2] (الشكم) جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في لجام الفرس . المعنى شبه طغيان النفوس وسورتها لإنهاب ما يقع لها من اللذائذ وإسرافها في أبواب هواها بالخيل إذا عضت على شكيمها فإنها على هذه الحال تكون أشد ما تكون ثورة وهياجا.

إن جل ذنبي من الغفران لي أمل فـي الله يجعلنـي فـي خيـر معتصـم[1]
ألقي رجائي إذا عز المجير على مفـرج الكـرب فـي الـدارين والغمـم[2]

---

[1] (معتصـم) عصـمة الله العبـد حفظـه ممـا يوبقـه ويهلكـه و"المعتصـم" الموضـع منهـا أو بمعني المصدر أي الاعتصام .

غفران الذنب مهما كان قدره ممكن في ذاته، والله تعالى لا يخرج عن قدرته شيء من الممكنات ما يقع منها وما لا يقع أصلا، وقد جاء الشارع الحكيم ببيان ما يحتمل الوقوع بالفعل في هذه المسألة بعينها فقال عز من قائل "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" ولعله قد استولت الدهشة على الشاعر، والهيبة من الله تعالى لما أسلف من الذنب العظيم حتى وقع في مخيلته أن مثل هذا الذنب لا يغفر له فليس مراده ما يتبادر من ظاهر قوله من أن مغفرة الله تضيق عن مثل هذا .

ولكنه رجع واستمسك بحبال الأمل في عفو الله ورحمته الواسعة، وفي الحديث القدسي "أنا عند ظن عبدي بي إن خيرا فخير وإن شرا فشر" .

وقال أصله في هذا المعنى

يا نفس لا تقظي من زلة عظمت إن الكبائر في الغفران كاللمم

[2] (الغمم) جمع غمة وهي الهم والحزن

(المجير) هنا المنقذ – (إذا عن المجير) أي يوم القيامة

إذا خفضت جناح الذل أسأله عـز الشـفاعة لـم أسـأل سـوى أمـم[1]

(مفرج الكرب في الدارين) هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه لأنه أخرج الناس في الدنيا من ظلمه الغواية إلى نور الهداية وهو في الآخرة صاحب الشفاعة العظمى ورجاؤه في البيت سؤاله الشفاعة التي ذكرها في البيت الآتي: وقد تخلص الشاعر في هذا البيت إلى المقصود بأبدع أسلوب

(١)(اللمم) اليسير

(خفض جناح الذل) كناية عن شدة التواضع والانكسار وقد وقعت هذه الكناية في الكتاب العزيز قال تعالى "واخفض لهما جناح الذل من الرحمة".

"الشفاعة" سؤال الخير للغير وهي للنبي ﷺ سؤاله يوم القيامة كشف الضر وتفريج الكبر عن المؤمنين .

وأحاديث الشفاعة الدالة عليها صريحا كثيرة ورواتها كثيرون وطرقها عدة وهي وإن اختلفت ألفاظها إلا أنها مجمعة على أن للنبي الشفاعة يوم القيامة في مواطن

المعنى: معنى البيت موصول بالبيت قبله يقول إذا ضاقت بي الحيل يوم القيامة وملكتني الأوزار والآثام ولجت في التماسي العقوبات ولم أجد من يعصمني من العذاب فزعت إلى رسول الله ﷺ وتوسلت إليه بضعفي وذلي وانكساري وتوسلت به ﷺ.

وإن تقـدم ذو تقـوى بصـالحة قـدمت بـين يديـه عبـرة النـدم[1]
لزمـت بـاب أميـر الأنبيـاء ومـن يمسـك بمفتـاح بـاب الله يغتـنم[2]

ﷺ إلى عفو الله تعالى ومغفرته وسؤال مثل هذا هين عليه يسير كيف لا وهو صاحب الشفاعة العظمى .

روى البخاري بسنده الصحيح عنه ﷺ "يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا" إلى أن قال فيه "فيؤذن لي عليه فإذا رزيته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعط" الحديث وفي البيت الطباق

[1](العبرة) تحلب الدمع

المعنى يقول إذا نفع المتقين ما قدموا من الطيبات وأسلفوا من الحسنات توسلت إلى رسول الله ﷺ ببكائي وتندمي على ما فرط مني فقبلني وشفع لي

[2](أمير الأنبياء) هو نبينا محمد ﷺ لأنه خيرهم وأفضلهم على الإطلاق و"لزوم بابه" كناية عن الالتجاء إلى كرمه وعدم الانحراف عن التوسل به في قضاء الطلبات وهو ﷺ "مفتاح باب الله" لأن في اتباعه الوسيلة إلى الدخول في رحمة الله ورضوانه وفي الاستشفاع به السبيل إلى عفوه وغفرانه .

فكل فضل وإحسان وعارفة ما بين مستلم منه وملتزم[1]
علقت من مدحه حبلا أعز به في يوم لا عز بالأنساب واللحم[2]
يزري قريضي زهيرا حين أمدح ولا يقاس إلى جودي لدى هرم [3]

---

[1] "العارفة" المعروف

المعنى البيت بمثابة العلة لمعنى البيت الذي قبله فقد ذكر فيه مبلغ الغنيمة في الاستمساك بحبله ﷺ وأنه مصدر كل فضل وإحسان ومعروف فإن الله تعالى أجرى عليه يديه كل ما وصلنا به من ضروب الخير ووجوه البر .

وقال أناس صف لنا بعض جوده فقلت لهم من عنده كل ما عندي وإذا لم يكن من بر إلا هدايتنا إلى العقيدة الصحيحة والصراط المستقيم المفضي إلى سعادة الدارين لكفي .

[2] "اللحم" جمع لحمة وهي القرابة .

المعنى يقول: إني بتمداحي له قد اتصلت بحبل أعتز به يوم لا يغني الناس ما أوتوا من الجاه العريض والنسب الرفيع .

[3] (يزري) يعيب..

القريض الشعر..

(زهير) هو زهير بن أبي سلمى المزني كان سيدا غنيا في الجاهلية معروفا بالحلم والحكمة شاعرا فحلا وهو صاحب المعلقة المشهورة التي أولها

أمن أم أوفي دمنه لم تكلم بحومانه الدراج فالمتثلم

محمـــد صـــفوة البـــاري ورحمتـــه وبغيـة الله مـن خلـق ومـن نسـم[1]

توفي قبل الإسلام بقليل ومن أولاده كعب صاحب "بانت سعاد" وجبير، وهما صحابيان رضي الله عنهما .

(هرم) بكسر الراء هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المري مدح زهير هرما فأحسن ووصله هرم فأجزل الصلة وبالغ في العطاء . ومن أشهر ما قال فيه زهير :

من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا

المعنى يقول إني إذا مدحت الرسول صلى الله عليه وسلم بز شعري شعر زهير بن أبي سلمى على براعة قوله وفخامة نظمه لا أطمع في عرض الدنيا طمع زهير في صلات هرم ونواله لأني أكرم من هرم وأجود الكريم واعتزازي بمدحه يوم القيامة على ما قد مر بك في البيت المتقدم .

لم يجعل شعره أبلغ من شعر زهير مطلقا بل قيده بما إذا كان مدحا للنبي ﷺ في قوله "حين أمدحه" لأن مدحه يزيد القول بهجة وشرفا وجلالا .

قال الشاعر :

ما أن مدحت محمداً مقالتي لكن مدحت مقالتي بمحمد

[1] "صفوة الباري" مصطفاه.. "البغية" المراد.. "النسم "جمع نسمة وهي النفس أو هي الإنسان .

وصاحب الحوض يوم الرسل سائله متى الورود وجبريل الأمين ظمي[1]

المعنى أن محمداً ﷺ مصطفى الخالق من خلقه وهو خير البرية وأفضل الناس أجمعين قال ﷺ "آدم فمن دونه تحت لوائي ولا فخر" وقال عليه الصلاة والسلام "أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر"، وهو رحمته لعباده قال تعالى "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" وهو مراده أي المقصود الأعظم من خلق الخليقة .

[1] "وجبريل الأمين ظمي" الملائكة لا تظمأ فلعل مراده بالظمأ هنا لازمه وهو الطلب أي للناس بمعنى أن حاله تقتضي ذلك إشفاقا على حالهم لما يرهقهم من شدة الظمأ وحرج الموقف .

و(الحوض) ثابت بالأحاديث الصحيحة الواردة من عدة طرق.. روى حديثه البخاري ومسلم والترمذي والحاكم والنسائي والبهيقي وابن حبان والطبري وأبو يعلي وأبو نعيم وابن أبي الدنيا والبزار حتى قال القاضي عياض رحمه الله أن أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض الله وقال القاضي أيضا وحديثه "أي الحوض" متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب وابن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارث بن هوب وغيرهم من جلة الصحابة ورواه غير الإمام مسلم عن الصديق وكثيرين من الصحابة إلى أن قال القاضي وفي هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا .

سناؤه وسناه الشمس طالعة فالجرم في فلك والضوء في علم [1]
قد أخطأ النجم ما نالت أبوته من سؤدد باذخ في مظهر سنم [2]

وقال بعض شراح البخاري أن الصحابة الراوين للحوض نيف وثلاثون وقال القرطبي يجب على كل مكلف أن يصدق به لثبوته بالأحاديث التي يحصل بمجموعها العلم القطعي .

وذهب بعض المفسرين في قوله تعالى "إنا أعطيناك الكوثر" إلى أن المراد به الحوض والظرف مضاف للجملة الإسمية بعده في قوله "يوم الرسل سائلة" أي يوم سؤال الرسل وذلك يوم القيامة .

[1] "سناؤه"رفعته و"سناه " نوره "العلم" هنا العالم .

المعنى: لئن كانت الحقيقة المحمدية قد سمت على جميع العوالم وعلت على كل الكائنات فإن نوره ﷺ عم البرية جمعاء وشاع في الأرض والسماء كما يتصل نور الشمس بآفاق هذا العالم السفلي، وجرها جار في مذهبها الرفيع سابح في فلكها العلوي بل أن الحقيقة ﷺ أسمى وأرفع ونوره أعم وأنفع .

[2] "السؤدد" السيادة.

"باذخ" عال (سنم) ككتف مرتفع ..

"أبوته" أي ذوو أبوته، والأبوة المعنى المأخوذ من الأب كالأخوة والبنوة لأنه وإن كان جامدا منه معنى مصدري كما قالوا التحجر من الحجر والتلبن من اللبن فالمراد "بالأبوة" هنا أباؤه أي أبوه وأجداده

يقول إن النجم على علوه وارتفاعه لم يدرك ما أدرك أصوله ﷺ من المجد الخطير والشرف الرفيع وإنا ذاكرون لك نسبة الشريف وما كان لبيته الكريم من جليل الخطر وعظيم المنزلة.

فهو ﷺ محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

قال العلماء إن النسب إلى عدنان ثابت بإجماع الأمة وما بعده موضع الخلاف فجملة أجداده عشرون عدا أبيه عبد الله .

قال الزهري إن عبد الله كان أجمل قريش فذكر لآمنة بنت وهب جماله وصفته وقيل لها هو لك أن تزوجيه فأجابت فمضى به أبوه فزوجه إياها.. قال بعضهم إن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عير لقريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفي ودفن بها وآمنة حامل بالنبي ﷺ.

وأما عبد المطلب جده الأول فاسمه" شيبة" لأنه كان في رأسه شيبة وقيل له شيبة الحمد تفاؤلا بحمد الناس له كان مفزعا لقريش في النوائب وملجأهم في الأمور وشريفهم وسيدهم غير مدافع، وكان يقال له الفياض لكثرة جوده، والمطعم لطير السماء لأنه كان يلقي الطعام للطير والوحوش، وكان حليما حكيما حرَّم علي نفسه الخمر ورفض في آخر عمره عبادة الأصنام فوحد الله تعالى، وتؤثر عنه سنن جاء الشرع بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم والنهي عن قتل الموءودة وتحريم الزنا وغير ذلك وكان وقورا مهيبا.. روي أن رسول أبرهة لما دخل مكة ورآه خضع له وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه ولما رآه أبرهة أكرمه وأجلسه إلى جنبه وتقدم إلى الترجمان بسؤاله عن حاجته فسأله الابل، ولم يسأله البيت فقال له أبرهة: "أتكلمني في الإبل وتدع

بيتا هو دينك ودين آبائك" فقال عبد المطلب: "أنا رب الإبل، وللبيت رب سيمنعه" قال أبرهة: ما كان ليمتنع مني ورد الابل فجعلها عبد المطلب هديا للبيت.

وأما هاشم جده الثاني فاسمه عمرو العلاء لعلو مرتبته، وهو أخو عبد شمس قيل كانا توأمين وإن أحدهما ولد قبل صاحبه وأصبع له ملتصقة بجهة صاحبه فنحيت عنها فسال من ذلك دم فتطيَّر من ذلك فقيل تكون بينهما دماء، ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لأن هاشم ساد قومه بعد أبيه عبد مناف فتكلف أمية أن يصنع صنعه ويذهب مذهبه ليشاركه في المجد ويساهمه في المكرمات فأعجزه أمره فعيَّرته قريش وقالوا له: "مالك والتشبه بهاشم؟"؛ فغضب ونال من هاشم ودعاه إلى المنافرة قال: "فإني أنافرك على خمسين ناقة نحر ببطن مكة والجلاء عنها عشر سنين" فرضي وتحاكما إلى الكاهن الخزاعي بعساف فقال: "لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر" فنصر هاشما على أمية؛ فعاد هاشم إلى مكة ونحر الإبل وأطعم الناس، وخرج أمية إلى الشام فلبث فيها عشر سنين، وكان يقال لهاشم وإخوته "أقداح النضار" أي الذهب وإنما قيل له هاشم لأنه أول من هشم الثريد من العرب أي ثرده وأطعمه المساكين .

قال الشاعر :

عمرو العلاء والنداء لا يسابقه مر السحاب ولا ريح تجاريه

وقال الشاعر:

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وقيل أن أول من هشم الثريد وأطعمه الناس إنما هو قصي.. وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف في السقاية "وهي سقاء الحجيج له الماء العذب" والرفادة "وهي إطعام الطعام لمن لا سعة له من الحجاج" فكان يمد لهم الأسمطة في أيام الموسم" واتفق وهو بالشآم

أن أصاب أهل مكة قحط شديد فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعل الثريد وأطعم الناس حتى أشبعهم، وكان يقال له سيد البطحاء قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء.

وأما عبد مناف جده الثالث فاسمه المغيرة وكان يقال له القمر لحسنه وبهائه، وكان يقول في كتاب له: "أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم".. وكان الجد الرابع لعثمان بن عفان، والتاسع للإمام الشافعي رضي الله عنهما.

وأما قصي الجد الرابع فاسمه زيد، وأمه فاطمة بنت معد بن سيل، وقيل له قصي لأنه قصي أي بعد إلى قضاعة مع أمه.. أخبرته أمه بأن كاهنة رأته صغيرا فقالت لها إن ولدك هذا يلي أمرا جليلا.. فلما انتهى إلى مكة مع حجاج قضاعة أكرمه قومه وقدموه عليهم لموضع نسبه وما رأوا فيه من آيات النبل؛ فساد فيهم، وكان أمر مكة بيد خليل الخزاعي وهو آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة من الخزاعيين فلما مات تولى قصي أمر البيت واستلم مقاليد الحكم بعد إخراج خزاعة من مكة لأن قريشا أدنى إلى إسماعيل عليه السلام من خزاعة وقيل إن خليلا هو الذي ولى قصيا الأمر لأنه زوج ابنته حي وقيل أن خليلا جعل ذلك لابنته فقالت له لا قبل لي بفتح البيت وإغلاقه فاوصى به لأبي غبشان الخزاعي واسمه سليم بن عمرو..

فلما صار إليه أمر البيت وسدانة الكعبة اجتمع مع قصي بالطائف على شراب فأسكره قصي واشترى منه فمفاتيح البيت بزق خمر فعيرته العبر فأنكر البيع وقال إنما رهنها له، فتنازعوا ووقعت الحرب بين قصي وخزاعة فظهرت قصي على خزاعة وأجلوهم عن مكة وصارت لأولئك مفاتيح الكعبة لا ينازعهم فيها منازع قال الشاعر في هذا المعنى:

أبو غبشان أظلم من قصي وأظلم من بين فهر خزاعة

فلا تلحو قريشا في شراه ولوموا شيخكم إذ كان باعه

وذهب المثل بتلك الصفقة فيقال "أخسر من صفقة أبي غبشان"

ولما أفضى أمر البيت إلى قصي وولي الحكم جمع قبائل قريش فأنزلهم أبطح مكة وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس جبال مكة فتقاسموا منازل خزاعة فسمي قصي لذلك مجمعا

قال الشاعر:

أبوكم قصي كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

فكان قصي أول ولد لكعب بن لؤي أصاب ملكا أطاعه به قومه فكانت إليه "سدانة" البيت فهو الذي يفتح الكعبة ويقفلها وكانت إليه "السقاية" فلا ينال أحد بمكة الماء إلا من سقايته وكانت إليه "الرفادة" فلا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامه وكانت في دار "الندوة" فلا تمضي قريش في أمر من أمورها إلا قامت على تدبيره في داره وكان لا يعقد لقريش "لواء" حربهم إلا هو؛ فهو صاحب الحجابة والسقاية والندوة واللواء والرفادة.. وكانت قريش تجعل من أموالها في كل موسم خرجا لقصي كان قد ضربه عليهم فيصطنع به الطعام للعافين من الحجاج هو "الرفادة" وقد صار ذلك عادة على قومه في الجاهلية حتى قام الإسلام فكان بعض السلاطين يصنع كل عام الطعام بمنى لفقراء الحجاج.

وأما جده الخامس فاسمه حكيم، وقيل عروة، ولقب بـ "كلاب" لأنه كان يحب الصيد وأكثر صيده كان بالكلاب، وهو الجد الثالث لآمنة أمه ﷺ ، فهو ملتقى نسب أبيه بنسب أمه.

وأما مرة جده السادس فهو الجد السادس أيضا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وفي مرة أيضا يجتمع نسب الإمام مالك بنسب الرسول ﷺ

وأما كعب جده السابع فهو الجد الثامن لعمرو رضي الله عنه كان يجمع قومه يوم العروبة "أي يوم الرحمة" وهو يوم الجمعة فيعظم ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ وينبئهم بأنه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم، وقيل أنه كان يقول:

على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

قيل أنه أول من قال "أما بعد" فكان يقول أما بعد فاسمعوا وافهموا واعلموا وتعلموا، وقيل له "كعب " لارتفاع شأنه في قومه لأن "الكعب" هو العالي المرتفع، وكان من شرف الموضع وعلو المحل بحيث كان القوم يؤرخون بموته حتى عام الفيل فأرخوا به ثم يموت عبد المطلب حتى ظهر الإسلام وأرخ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بالهجرة.

وأما جده الثامن فهو لؤي، والهمز فيه أكثر من تركه، وفي سبب تصغيره خلاف وأمه عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة.

وأما جده التاسع فغالب وأمه ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة.

وأما فِهر جده العاشر؛ فهو جماع قريش، وأمه جندلة بنت عامر.. سماه أبوه فهر وقيل هو لقب واسمه قريش وسمي بذلك لأنه كان "يقرش" أي يلتمس خلة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه" يقرشون" أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا لذلك "قريشا" وهو الذي أسر حسان بن كلال حيث أقبل مع حمير وغيرهم من اليمن يبغون نقل حجارة الكعبة من مكة إلى اليمن حتى يتحول الحج إليهم، فخرج فهر هذا في قبائل

كنانة وخزيمة وأسد وغيرهم وكان رئيسهم فهزموا حميرا بعد القتال الشديد وردوهم وأسروا ملكهم .

وفهر هذا هو الجد السادس لأبي عبيدة بن الجراح

وأما مالك جده الحادي عشر فأمه عكرشة بنت عدوان، وهو الحارث ابن عمرو بن قيس ولقب بمالك لأنه ملك العرب وساد عليهم .

وأما النضر جده الثاني عشر فاسمه قيس وأمه برة بنت مر بنت أد بن طابخة قيل أنه جماع قريش وقد تقدم أن جماعهم فهر، وعليه يكون الذين فوق فهر ليسوا من قريش.

وأما كنانة جده الثالث عشر فأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان، ودعي بكنانة لأنه كان "يكن" أمور قومه وكان جماع سرهم .

وأما خزيمة جده الرابع عشر فأمه سلمى بنت أسلم القضاعية، وكان هذيل أخاه لأبيه وأمه وتغلب أخاه لأمه.

وأما مدركة جده الخامس عشر فاسمه عمرو، وأمه ليلي بنت حلوان، وقيل له "مدركة" لأنه أدرك كل عز وفخر اتسق لآبائه وكان يظهر فيه نور رسول الله ﷺ .

وأما إلياس جده السادس عشر فأمه الرباب بنت حيدة بن معد، وكان عند العرب عظيم القدر فكانوا يدعونه كبير القوم وسيدهم وكانوا لا يمضون أمرا بدونه، وهو أول من أهدى البدن إلى البيت، وكان للعرب مثل لقمان الحكيم في قومه، وجاء "لا تسبوا إلياس فإنه كان مؤمنا".

وأما مُضر جده السابع عشر فأمه سودة بنت عك، وأخوه لأبيه وأمه إياد.. ويقال له مضر الحمراء لأنه أخذ من ميراث أبيه الذهب، وترك الخيل لأخيه ربيعة، وجاء "لا تسبوا مضر وربيعة فإنهما كانا مؤمنين"، ومن قوله "من يزرع شرا يحصد ندامة".

وأما نزار جده الثامن عشر فأمه معانة بنت جوشم، وكنيته أبو ربيعة، وكان يُرى نور النبي ﷺ بين عينيه، وهو أول من كتب الكتاب العربي على الصحيح، وفي نزار يجتمع نسب الإمام أحمد بنسبة ﷺ.

وأما معد جده التاسع عشر فأمه مهدد بنت اللهم، وقيل له معد لأنه كان صاحب حروب وغارات وما حارب أحدا إلا وكان النصر معقودا بلوائه.

وأما عدنان جده العشرون، فهو آخر النسب المتفق عليه كما مر بك.. لا يختلف فيه النسابون فلا نخوض فيمن يليه لعدم الوثوق بصحته.

فأنت ترى أنه قد اجتمع لبيته ﷺ من أسباب السيادة والمجد وكرم المنبت وشرف المحل ما لم يجتمع لبيت غيره واتسق لجدوده من المكرمات ما لم يسهم بمثله لعامة العرب على كثرة قبائلهم وتعدد فروعهم، وحسبك أن يجتمع لقصي جده الرابع كل وجوه الرياسات التي تقاسمتها العرب وتنازعتها القبائل لأنها كانت ملاك شرفهم وجماع سيادتهم وفخرهم في الظفر بالخلة الواحدة منها أكرم الموضع وأعلى المنزلة حتى إن القبائل لتظل على طول الأدهار والأزمان تنتسب في مجدها إليها وتصل بها حبلها وتربط بها أصلها فما ظنك بها مجتمعة كلها في بيت واحد في رجل واحد هو قصي جده الرابع ﷺ يملكها عن الناس أجمعين غير مدافع.. قال القاضي عياض: "أما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه، لأنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهله مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده .

قال ﷺ إن الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار العرب فاختتار منهم قريشا، ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني منهم، فلم أزل خيارا من خيار.

وقال ﷺإن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني من خير بيوتهم؛ فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا.

وقال ﷺ اصطفي من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفي من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفي من بني كنانة قريشا واصطفي من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم.

نموا إليه فزادوا في الوري شرفا ورب أصل لفرع في الفخار نمي[1]
حواه في سبحات الطهر قبلهم نوران قاما مقام الصلب والرحم[2]

---

[1] "نمو" نسبوا

قد مر بك مالآ بانه من خطر القدر ونباهة الذكر وقد رأيت بعض ما وصلهم الله به من الشرف الرفيع والجاه العريض ونصيبهم في المكرمات وما كان لهم من الحسب الحسيب والعرق العريق والهمة القعساء والعزمة الماضية التي قصر عنها النجم الثاقب ولم تبلغها سابحات الكواكب مع هذا كله فقد ازدادوا بنسبتهم إليه ﷺشرفا علي شرف ومجدا علي مجد.

وإذا كانت الحال قد جرت بأن ترشف الفروع باشتعابها اصولها وتنبه الأبناء بانتسابها إلي آبائها فالأمر هناجاء علي غير هذا الحكم وكان رسول الله صلي الله عيه وسلم لا بأنه وجدوده المنتمي في الفخر والعظيم والمنتهي في الأنتساب إلي المجد والكرم .

وكم أن قد علا بابن ذري شرف كما علت برسول الله عدنان

[2] "السبحات" بضمين مواضع السجود وسبحات وجه الله انواره وقد ورد أن الله تعالي خلق الحقيقة المحمدية من نوره فكانت تدور في العرش ويفاض عليها من أنوار تجلياته فذانك النوران اللذان احتوايه صلي الله عليه وسلم قبل أن تحتويه الاصلاب والأرحام "وقاما له مقامها روي عبد الرازق عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال قلت

لمـــا رآه بخيـــرا قـــال نعرفـــه بما حفظنا من الأسماء والسيم [1]

"يـا رسـول الله.. بـأبي أنـت وأمـي.. أخبرنـي عـن أول شـيء خلقـه الله تعـالي قبـل الأشياء.. قـال يـا جابر إن الله تعالى خلق قبـل الأشـياء نـور نبيـك مـن نـوره الحـديث وفـي حديث عن ابن القطان كنت نورا بين يدي ربي قبل خلق آدم".. (الحديث) وفي الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه .

قال الشاعر:

كنت نورا وكان ثم عماء ونبيا وليس طينا وماء

[1] "السيم" كعنب جمع سيمة وهي العلامة

"بحيرا" بفتح الباء وكسر الحاء الراهب النصراني المشهور

ورد كثير من الأخبار عن رؤية بحيرا له ﷺ من ذلك ما رواه الترمذي، وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه إن سبعة من الروم أرادوا قتله، وهو مع عمه أبي طالب في سفره إلى الشام فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم قالوا إن هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق إلا بعث إليها بأناس قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا.. فبايعوه.. قال الحافظ بن حجر هذا الحديث رجاله ثقاة .

وروى البيقي وأبو نعيم أن بحيرا رآه وهو في صومعته في الركب حيث أقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه فنظر إلى الغمامة حيث أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حتى استظل تحتها فقام واحتضنه وجعل يسأله عن أشياء من حالة من نومه وهيئته وأموره

سائل حراء وروح القدس هل علما مصون سر عن الإدراك منكتم [1]

ويخبره ﷺ فيوافق ذلك ما عنده من صفته، ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده .

وروى ابن أبي شيبة أنه أخذ بيده، وقال هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين .

[1] "حراء" جبل بمكة فيه غار كان يتعبد فيه النبي ﷺ قبل الرسالة، والمفاعلة من قوله "سائل" على غير بابها، والمراد "اسأل" وعبر المفاعلة للمبالغة.

"روح القدس" جبريل عليه السلام.. قال تعالى "قل نزَّله روح القدس من ربك بالحق" والإضافة فيه من الإضافة الموصوفة للصفة أي الروح المقدس والقدس الطهر.

"مصون سر" من اضافة الصفة للموصوف أي السر المصون وقوله "منكتم "وصف مؤكد للسر المصون لأن السر لا يكون إلا كذلك، وتنكير "سر" للتعظيم المعني أن الله تعالى قد أودعه سرا عظيما هيأه به لإفاضة الكمالات الإلهية واعدة لأعلى مراتب النبوة والرسالة ما أظهر على ذلك أحدا حتى ولا جبريل الذي هو أمين وحيه الهابط برسالته إلى نبيه ولا "حراء" الذي لزمه النبي ﷺ واتخذه مثابة ومتعبدا أي بحيث لو أدرك هذا الجبل وعقل ما فقه هذا السر.

كم جيئة وذهاب شرفت بهما بطحاء مكة في الإصباح والغسم[1]
ووحشة لابن عبد الله بينهما أشهى من الأنس بالأحباب والحشم[2]

وهذا على أن الاستفهام إنكاري بمعنى النفي، ويجوز أن يكون تقريرا لتردد جبريل عليه وملازمته ﷺ في ذاك الحين لذلك الجبل الذي نزله الشاعر منزلة العالم بهذا السر بحكم هذه الملازمة وطول مقامه عليه السلام فيه فقوله "منكتم" أي عما عداهما .

[1]"البطحاء" المسيل الواسع فيه دقاق الحصى .

"الغسم" المساء وظلمة الليل، وقول الشاعر "في الأمساء والغسم" أي من كل مرة كان يطلب فيها النبي ﷺحراء لا كل صباح وكل غسم فإنه ﷺكان يتزود فيقيم في "حراء" الليالي والأيام.

[2] "ابن عبد الله" هو نبينا محمد ﷺ وقد مر بك ذكر نسبه الشريف

"الحشم "الخدم الخاصون بمولاهم

"الوحشة" الخلو والهم، والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس

وكيف يدركه الضجر من الوحدة وبناله السأم من الانفراد وبه من الإنس بجوار ربه وتلقي فيضه ما يقصر عنه القول ولا يحيط به الوصف.

يسامر الوحي فيها قبل مهبطه ومن يبشر بسيمى الخير يتسم[1]
لما دعا الصحب يستسقون من ظمأ فاضت يداك من التسنيم بالسنم[2]

---

[1] "مهبطة" هنا بمعنى هبوطه أي بالرسالة فإن أول ما نزل به الوحي عليه ﷺ قول الله تعالى "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" ثم انقطع الوحي وأبطأ عنه ﷺ ستة وثلاثين شهرا فكان يتشوق إليه فيخرج من متعبده يلتمسه فيترائ له جبريل عليه السلام ويناديه إنك لرسول الله حقا فيسكن به ويتصبر إلى أن انقضت فترة الوحي ونزلت "يا أيها المدثر قم فأنذر" فابتدأت بذلك رسالته ﷺ.

[2] "التسنيم" ماء بالجنة يجري فوق الغرف، وسنم الإناء تسنيما ملأه فكأنه أراد بالسنم هنا الإناء المملوء.

الأحاديث الواردة في نبع الماء من بين أصابعه الشريفة كثيرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال "رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتى رسول الله ﷺ بوضوء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه.. قال فرأيت الماء ينبع، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم.

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال "بينما نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ

وظللتـه فصـارت تسـتظل بـه غمامـة جـذبتها خيـرة الـديم[1]

اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ.

وروي عن جابر رضي الله عنه قال "عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه، وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون.

وروي الحديث عن غير هؤلاء من جلة الصحابة وأئمة الدين قال صاحب الشفاء رحمة الله بعد رواية حديث نبع الماء من الطرق المتقدمة.. قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحافلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجمع الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له.

[1] "الديم" جمع ديمة، وهي المطر الدائم..

قد مر بك خبر تظليل الغمام عليه ﷺ في حديث بحيرا المتقدم وروى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء في الظهيرة إلى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت:

محبـــة لرســـول الله أشـــربها قعائـد الـدير والرهبـان فـي القمـم[1]

في هذا الحر قالت أخته: "يا أم.. ما وجد أخي حرا.. رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع" .

[1] "القعائد" جمع قعيدة و"قعائد الدير" ملازموه من متنسكة النصارى "القمم" جمع قمة وهي أعلى الرأس وكل شيء والمراد بها هنا أعالي الجبال.

المعنى أن محبته صلى الله عليه وسلم قد شاعت في قلوب أحلاس الديور من متنسكي النصارى ورهبانهم المنقطعين في رؤوس الجبال للتبتل والعبادة.

وذلك لأنهم قد نبأتهم صحفهم بصفاته وأحواله وأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء المبعوث بالهدى للناس أجمعين.. قال تعالى "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل" (الآية).. وقال تعالى "ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه" (الآية)، وقال تعالى حكاية عن عيسي عليه السلام "ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد".

ولا يذهب عنك ما مر من قصة بحيرا في هذا الباب ومثلها ما جاء عن عمرو بن عنبسة السلمي: قال لقيت رجلا من أهل الكتاب فقلت له إني امرؤ ممن يعبد الحجارة وإني أرى أن عبادتها لا تضر ولا تنفع فدلني على خير من هذا، فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو

إن الشمائل إن رقت يكاد بها يغري الجماد ويغري كل ذي نسم[1]
ونودي اقرأ تعالى الله قائلها لم تتصل قبل من قيلت له بفم[2]

إلي غيرها فإذا رأيته فاتبعه.. فلم يكن لي همة منذ قال إلا التردد إلى مكة والسؤال عنه حتى ظهر فآمنت به .

[1] "الشمائل" جمع شمال الخصلة والصفة.. "النسم" جمع نسمة، وقد مر بك أنها النفس أو الإنسان والأنسب بها هنا هو المعنى الأول .

المعني إن الشمائل إذا لطفت والخلال إذا كرمت تآلفت النفوس وجذبت إليها القلوب حتى أنها ليوشك أن يتأثر بها الجماد الأصم والحيوان الأعجم.

وقد كان ﷺ من أشرف الخلق ولطف النفس بالموضع الذي لا ينال فسكنت إليه النفوس الثائرة واستأنست به القلوب النافرة قال تعالي "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك".

وقد جرى في البيت مجرى المثل

[2] المعنى أن خطاب الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بقوله "اقرأ باسم ربك" لم يتنزل على بشر قبله ولم يجر به فم إنسان قبل أن يوحى إليه ﷺ وإن خوطب الأنبياء قبله بغير هذا الخطاب كخطاب الله تعالى لموسى عليه السلام "فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين" وليحيى عليه السلام "يا يحيى خذ الكتاب بقوة"، وغير ذلك مما وقع به الخطاب .

هنـــاك أذن للـــرحمن فـــامتلأت أسـماع مكـة مـن قدسـية الـنغم[1]

فلا تسل عن قريش كيف حيرته؟ وكيف نفرتها في السهل والعلم[2]

للأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين

[1] "أذن للرحمن" أي دعا إلى الله وقوله "من قدسية النغم" ترشيح لتشبيه الدعاء إلى الله تعالى بالصوت الجميل و"قدسية النغم" النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكسير الألفاظ واعتصار الحناجر وإيقاع الأصوات بل كان أذانه "دعاؤه" ﷺ نفحة من نفحات القدس تحدث لها في النفوس هزة وتقع بها في القلوب روعة، وما ظنك بدعوة تأخذ أشد الناس عنادا وأصعبهم قيادا وتخرجه في لمحة واحدة من دين إلى دين وتنسل منه في مثل طرفة العين من الخلق والعقيدة والعادة ما ختمت عليه قلبه العصور ونقشت في صدره الأزمات والدهور ثم كانت عليه بردا وسلاما.

قوله "هناك أذن" يريد به الظرف المتسع المستغرق لمدة الفترة والمنتهي بنزول الوحي بالرسالة فقد علمت أنه ﷺ دعا إلى الله بعد نزول "اقرأ باسم ربك" بستة وثلاثين شهرا أي حين نزلت "يا أيها المدثر قم فأنذر" الآية.

[2] "فلا تسل" يعني أن الأمر واضح غني عن السؤال يقال عند ظهور الأمر ووضوحه "لا تسأل" .

"العلم "الجبل .

تساءلوا عن عظيم قد ألم بهم رمى المشايخ والولدان باللمم[1]
يا جاهلين على الهادي ودعوته هل تجهلون مكان الصادق العلم[2]

المعنى: أنه حين دعا النبي ﷺ عشيرته قريشا بلغت منهم الحيرة والاضطراب أن هاموا في بطون الأودية ورؤوس الجبال لا يلوون على شيء، وذلك كناية عن شدة الارتباك واستعظام الأمر عليهم ونفورهم من تلك الدعاية التي دعاهم بها رسول الله ﷺ.

[1] "ألم" نزل "اللمم" محركة الجنون المعنى.. أنه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الأمر العظيم الذي نزل بهم وهم أن يقوم فيهم رجل ليس له ما لهم من البأس والمنعة يزعجهم عما كان يعبد آباؤهم وهم سادات قريش وجباهها ويأخذهم عما ألفوا من عاداتهم وأخلاقهم المغروزة فيهم دهشوا لهذا واستعظموه حتى جن منه شيبهم وشبابهم .

[2] "العلم" الظاهر المشتهر "الجاهلون على الهادي" المتكبرون المنكرون المتعنتون والاستفهام في قوله "هل تجهلون" إنكاري .

المعنى.. التفت إليهم يؤنبهم على إعناتهم للرسول ﷺ وردهم دعوته وعدم إذعانهم لقوله فقال كيف تنكرون الداعي إلى الحق وتكذبون مقالته وأنتم أعلم الناس بموضعه من الصدق وتنزهه عن قول الزور:

لقبتوه أمين القوم في صغر وما الأمين علي قول بمتهم[1]
فاق البدور وفاق الأنبياء فكم بالخلق والخلق من حسن ومن عظم[2]

---

[1] المعني كنتم وهو ﷺ في شباب سنة تلقبونه بالأمين فتقولون "محمد الأمين" وذلك لما رأيتم من شدة وفائه وعصمته عن الباطل ونزاهته عن الكذب ما علمتم في طبعة الكريم انحرافا ولا وجدتم في خلقه الشريف عهدة فكيف يكون الذي تشهدون بأمانته وصدقه طول حياته متهما بالكذب فيما دعاكم إليه وأرادكم اليوم عليه .

وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل وفي البيت الطباق.

[2] "الخلق" بفتح الخاء وسكون اللام الخلقة و"الخلق "بضم الخاء السجية.

واليبت موصول معناه بما قبله

يقول : لا موضع لأنكاركم عليه أن يكون نبيا مرسلا وقد قال لكم هذا وهو الصادق فيكم المصدوق من قديم الزمان عندكم وإذا رجعتم إلي مزاياه في نفسه لا تجدون كذلك محلا لأنكاركم عليه دعوته فإذا كان أمر الرسالة لا يتسق للناس إلا بحسن الصورة وكمال الخلق فقد كان رسول الله ﷺأوضح من البدور وأجمل وهي أبهي الأشياء وأجملها وإذا كان ذلك يرجع إلي كرم الخلق وعلو السجايا فقد فاق ﷺ الأنبياء وهم أكرم الناس خلقا وأشرفهم شيمة.

أما خلقه وحسن صورته فكان ﷺأزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الاشفار أبلج أزج أقني أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد إذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله ﷺ بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق ولا بالآدم وليس بالجعد القطط ولا بالسبط الحديث.

وقال البراء رضي الله عنه : ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺكأن الشمس تجري في وجهه.

وأما خلقة ﷺ فقد حباه الله تعالي من كمال الغريزة وسلامة الطبع ووفور العقل ووثاقة الحلم وعلو النفس ولطف الحس بما لم يحب به مخلوقا قبله ولا بعده وتولاه من تأديبه وطبعه علي كرائم الخلال ومحامد الخصال بما لم يوفق إليه مخلوق غيره وناهيك بمن يكون ربه مؤدبه ومهذبه قال ﷺ "أدبني ربي فأحسن تأديبي".

وسيرد لك أن شاء الله تعالي تفصيل بعض شمائله ﷺ بحسب ما يشير الشاعر إلي شيء منها وما عسي إن يقول فيه المخلوق بعد ما قال له الخالق "وإنك لعلي خلق عظيم".

جاء النبيون بالآيات فانصرمت وجئتنا بحكيم غير منصرم[1]
آياته كلما طال المدي جدد يزينهن جلال العتق والقدم[2]

يا مصطفي من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له اغلاق
أيروم مخلوق ثناءك بعدما أثني علي أخلاقك الخلاق

وفي البيت اللف والنشر المرتب

وقال صاحب البردة في هذا المعني

فاق النبين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في حلم وفي كرم

[1] "انصرمت" انقطعت و"منصرم" منقطع "الحكيم" القرآن وقد وصفه الله تعالي بالحكيم في مواضع منه.

المعني من الدلائل علي أنه ﷺ فاق الأنبياء وفضلهم كما ذكر في البيت السابق أنما جاؤوا به من المعجزات والآيات قد مضي علي أثرهم وانقطع بانقطاع مدتهم وأن ما جاء به نبينا من القرآن الكريم والذكر الحكيم باق علي طول الأزمان والأدها تجري عليه العصور وتتغير عليه الأمم وهو قائم الحجة واضح الحجة يكلف الناس بالجري علي مقتضي حكمه ويطلبون بالتعبد بتلاوته في كل زمان وفي كل مكان.

[2] "جدد" جمع جديد كسرر وسرير

آياب الكتاب الحكيم قديمة لأنها كلام الله القديم ولكن قدمها وسبقها علي الحوادث لا يجمد بها عن الاتساع لأحكام الوقائع والنزول علي جزئيات وكيف لا

تكون كذلك وقد أنزلها الله حكما وهدي للناس عامة حتي آخر الزمان قدر لهم فيها المصالح وجعل لهم في اتباعها العز والمنعة مهما تغيرت الحوادث وتقلبت الأمور "تنزيل من حكيم حميد" .

ومما يتصل بهذا المعني قول القاضي عياض رحمه الله وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدي الأمة في أعجازه "القرآن" وجوها كثيرة منها إن قارئة لا يمله وسامعة لا يمجه بل الاكباب علي تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادي إذا أعيد وكتابنا يستلذ في الخلوات ويؤنس بتلاوته في الأزمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتي أحدث اصحابها لحونا وطروقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم علي قراءتها ولهذا وصف رسول الله ﷺالقرآن بأنه لا يخلق علي كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفني عجائبه.

وفي البيت الطباق وقال صاحب البردة

في هذا المعني

آيات حق من الرحمن محدثة قديمة صفة الموصوف بالقدم

قال القسطلاني شارحه "محدثة" باعتبار الحروف والأصوات .

يكـاد فـي لفظـة منـه مشـرفة يوصـيك بـالحق والتقـوى وبـالرحم[1]
يا أفصـح الناطقين الضـاد قاطبـة حديثك الشهد عند الذائق الفهـم [2]

---

[1] التاء في قوله (لفظة) تاء الوحدة..

إذا أراد (باللفظة) حقيقها فالقول فى بلاغة الكتاب وبراعة أسلوبه ودقة نظمه وانسجام لفظه وكمال إيجازه حتى إنه ليتسق للفظة فيه من المعانى ما يتفرق في الجمل الكثيرة من كلام غيره، وذلك لكمال الارتباط بين كلماته وأخذ كل لفظة من ألفاظه الشريفة بحجرة التي تليها حتى إذا وقعت لها طائفة من المعاني كانت كأنها واقعة في اللفظة الواحدة لحسن التئام ألفاظه ولطف اتصال بعضها ببعض وإذا أراد (باللفظة) الجملة كان القول في احتشاد آي الكتاب الحكيم بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإكثار من توصية الناس بما فيه صلاح دينهم ودنياهم. والمعنى على هذا أنه يكاد في كل جمله الشريفة يوصيك بالحق وتقوى الله والبر بذوي الأرحام..

روي أن الوليد بن المغيرة لما سمع من النبى ﷺ "أن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفشحاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون" قال: والله إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر.

[2] (الناطقون بالضاد) العرب لأن (الضاد) لا تقع إلا فى لغتهم

–(الشهد) العسل في شمعه– (والذائق) صاحب الذوق فى فهم الكلام والخبرة بمواضعه – (الفهم) صيغة مبالغة من الفهم شبه حديثة ﷺ بالشهد في حلاوته وعذوبته

–وانبساط النفس له أو لفائدته وشفائه لأدواء النفوس كما يشفي العسل من أدواء الجسوم قال تعالى (فيه شفاء للناس) وقال الشاعر

وإن لساني شهدة يشتفى بها وهو على من صبه الله علقه

وإنا ناقلون إليك بعض ما قال الشفاء في فصاحة لسانه وبراعة منطقه قال:ﷺ من ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذى لا يجهل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مقطع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، صحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم، وعلم السنة العرب، يخاطب كل أمة منها بلسانها، ويحاورها بلغتها، ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من أصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه.

وقال بعد كلام طويل: "وأما كلامه المعتاد فصاحته المعلومة وجوامع كلمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يباري بلاغة كقوله: "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم"، وقوله: "الناس كأسنان المشط"، و"المرء مع من أحب"، و"لا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له"، و"الناس معادن:"، و"ما هلك امرؤ عرف قدره"، و"المستشار مؤتمن".

حليت من عطل جيد البيان به في كل منتشر في حسن منتظم[1]

وقال بعد ذلك وقد قال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك فقال وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني لسان عربي مبين، وقال مرة أخرى بيد إني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك ﷺ قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري، وقالت أم معبد في وصفها له: "حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن.

[1] "عطل" يقال عطلت المرأة عطلا إذا لم يكن عليها حلي.

المعني أن البيان قد ازدان بحديثه ﷺكما تزدان الحسناء بعد العطل بحليها وزخرفها وتزداد بزينتها ملاحتها وحسنها، وقد تنزه ﷺعن قول الشعر وباطل وساوسه وخيالاته وما يجري في أكثر فنونه مما لا ينبغي للنبي الكريم "وما علمناه الشعر وما ينبغي له" بل كان قوله منثورا إلا ما جرى على لسانه الشريف رواية من شعر شاعر جاريا بحكمة أو آخذا بموعظة أو مقررا لحكم من أحكام الدين، ومع هذا فقد كان لحديثه المنثور ما للشعر المنظوم من روعته وخفته على السمع ولطف موضعه من النفس وهشاشة القلب له وانجذاب الطبع إليه .

وفي البيت تشبيه البيان بالمرأة الحسناء تشبيها مضمرا في النفس وأثبت لها "الجيد" على سبيل الاستعارة المكنية و"التحلية" ترشيح.

تخطفت مهج الطاغين من عرب وطيرت أنفس الباغين من عجم [1]
ربعت لها شرف الإيوان فانصدمت من صدمة الحق لا من صدمة القدم[2]

"النور" و"الظلم"

[1] "مهج" جمع مهجة وفي دم القلب.. المعنى أن العلامات التي دلت على مولده ﷺ قد روعت أهل السطور والظلم من عرب وعجم واعتصرت قلوبهم وأصارت نفوسهم فرقا وذلك لما علموا من اقتراب الساعة التي يملكون فيها عن الناس وتغل فيها أيديهم عن ظلم العباد ويحاسبون على ما أسرفوا ويؤخذون بما اقترفوا وأن على الباغي تدور الدوائر .

وفي البيت الطباق

[2] "ربعت" ذعرت وخافت.. "شرف" جمع شرفة وهي ما يوضع على أعالي القصور ونحوها "القدم" جمع قدوم .

المعنى أن شرف الإيوان وهو مثوى سلطان الأكاسرة ومظهر سطوتهم وبأسهم قد ارتجت وهوت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم لم تعمل فيها المعاول ولم تهدمها القدم بل تداعت وخرت من صدمة الحق المبعوث به صلى الله عليه وسلم للباطل الذي فيه أهلها "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق".

روى البهيقي وأبو نعيم والخرائطي وابن عساكر خبر ارتجاج الإيوان وسقوط أربع عشرة شرفة منه وقال ابن حجر في شرح

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم إلا على صنم قد هام في صنم[1]
والأرض مملـؤة جـورا مسـخرة لكـل طاغيـة في الخلق محتكم [2]

الهمزة: ومن عجائب ولادته ﷺ انهدام إيوان كسرى أي انشقاقه انشقاقا بينا آل به إلى خرابه "ولولاه ما تداعى البناء" مع ما هو عليه من العظم والإحكام الذي يظن به أن لا تهدمه إلا نفخة الصور فإذا هو قد تحرك وسقط منه أربع عشرة شرفة للدلالة على نبوته وأنه لا عز يبقى لأحد مع عزه، وسر كونها أربع عشرة أنه لم يبق من ملوكهم إلا أربعة عشر ملك.. عشرة في أربع سنين وأربعة إلى زمن عثمان وبذلك انتهى ملكهم .

[1]"هام" يهمي هياما، والهيام شدة الوجد.. المعنى أنه بعث عليه الصلاة والسلام والناس في جاهليتهم الجهلاء لا يؤخذون بنظام ولا يجرون في أمورهم على حكم معقول بل قد فسدت فطرهم وافتتنت عقولهم إلى حد العكوف على الاصنام واتخاذها للعبادة واستكفائها الضر والأذى ومن كان هذا شأنه في ضعف العقل وجمود الكفر وعدم التمييز بين النافع والضار كان هو والحجر الذي يعبد بمنزلة سواء فذلك قوله "إلا على صنم قد هام في صنم".

[2] التاء في قوله "طاغية" للمبالغة أي شديد الطغيان.. كان الناس في كل أرض كأنهم في دار حرب يستعر لهيبها من القتل والفتك والسلب والنهب.. دع وأد البنات وهتك الحرمات وكان كل ملك

مسيطر الفرس يبغي في رعيته وقيصر الروم من كبر أصم عم[1]
يعذبان عباد الله في شبه ويذبحان كما ضحيت بالغنم [2]

طاغية في قومه ظلاما في حكمه يأمر ولا راد لأمره ويقضي بالجور ولا دافع لقضائه اللهم إلا أفرادا قلائل يسنحون في عرض التاريخ سنوحا فيخطر عدلهم في خلال الظلمات المتكائفة "خطرة البرق بدأ ثم اضمحل" .

[1] "بغي" يبغي بغيا والبغي التعدي

كذلك كانت الحال في دولة الفرس عند مبعثه عليه الصلاة والسلام حيث كانت الفوضى في بيت الملك والظلم في الرعية بيد القائم المتسلط عليه . وكانت الحال في دولة الروم أدهى وأمر فقد كانت قياصرتهم أهل غطرسة وجبروت قد أبطرتهم النعمة وأعماهم الاختيال وأصمتهم الكبرياء فلا يرون لمخلوق حقا عليم بل يعتقدون أن الخلق مسخر لأمرهم وأن الناس ما كانوا إلا ليجري عليهم عسفهم وظلمهم .

وإنما اختص بالذكر دولتي فارس والروم لأنهما كانتا أعرق دول الأرض وأقواها في ذلك الحين ولأنهما كانتا أشد من غيرهما علاقة وأقرب جوارا لجزيرة العرب التي بعث فيها الرسول الأكرم ﷺ .

[2] فصل في هذا البيت وجوه الظلم الذي كان منتشرا في ذلك الزمان وأن تعذيب الناس كان يجري على الشبه والأوهام، وأن أرواح العباد كانت تزهق بالوشايات والسعايات وينطلق سيف الظلم بالقتل في الناس لأوهن الأسباب كما تنطلق سكين القصاب بالذبح في الغنم يوم التضحية .

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم[1]
أسرى بك الله ليلا إذ ملائكه والرسل في المسجد الأقصي على قدم[2]

والجار والمجرور في قوله "كما ضحيت" صفة لمفعول مطلق محذوف أي ذبحا كتضحيتك الغنم و"ما" مصدرية .

[1] "البهم" جمع بهمة وهي ولد الضأن والمعز.. "البلم" صغار السمك.

متى أطلق الناس ولم يكفهم وازع من دين أو سلطان غلبت عليهم فطرتهم الحيوانية فسطا كبيرهم بصغيرهم وفتك بضعيفهم كما يفترس الليث ضعاف الحيوان وكما تأكل كبار السمك صغارها .

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

[2] "المسجد الأقصى "بيت المقدس" على قدم.. قائمون محتشدون.

حكاية الإسراء جاء بها الكتاب العزيز.. قال تعالى "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير.

قال العلماء يتعين أن يكون الإسراء إلى المسجد الأقصى يقظة إذ لو كان رؤيا منامية لما امتن الله على نبيه بتخصيصه بذلك ولما كذبته قريش وسألته عن صفات بيت المقدس ولما أجابهم بعد إلى ما سألوا .

روى البخاري أن النبي ﷺ قال "لما كذبتني قريش

لما خطرت به التفوا بسيدهم كالشهب بالبدر أو كالجند بالعلم[1]
صلى وراءك منهم كل ذي خطر ومن يفز بحبيب الله يأتمم[2]

قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه والرائي في المنام لا يعاجز بمثل ذلك ولا يتكلف هو مثل هذا القدر في إثبات رؤياه..

أما الأحاديث الصحيحة الواردة في تفصيل قصة الإسراء فكثيرة لا يجاورها الشك ولا يطرف بها في جملتها الريب.

قال القاضي عياض رحمة الله: الحق الذي عليه السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسري بجسده والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل.

[1] "خطر" مشى وقد التفت من الخطاب إلى الغيبة في قوله "بسيدهم" تعظيما لشأنه وإظهار سيادته عليهم صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين الجار والمجرور في قوله "كالشهب" و"كالجند" صفة لمفعول مطلق محذوف.. "الشهب" جمع شهاب وهو في الأصل شعلة النار الساطعة والمراد بها النجوم "العلم" راية الحرب .

[2] "ذي خطر" ذي قدر ومنزلة وكلهم كذلك صلوات الله وتسليماته عليهم والجار والمجرور في قوله "بحبيب الله" متعلق بقوله "يأتمم" أي يأتم والأصل ومن يأتم بحبيب الله يفز ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذلك الفوز.

جبت السموات أو ما فوقهن بهم علـــى منـــورة دريـــة اللجـــم [1]
ركوبـة لـك مـن عـز ومـن شـرف لا في الجياد ولا في الأينق الرسم[2]

وقد وردت الأحاديث بخبر هذه الصلاة منها ما رواه مسلم عن أم هانئ عنه ﷺ قال "نشر لي رهط من الأنبياء منهم إبراهيم وموسى وعيسى ثم حانت الصلاة فأممتهم" ومنها ما رواه الحاكم والبزار أنه صلى ببيت المقدس مع الملائكة وأنه عليه السلام أتى بأرواح الأنبياء فأثنوا على الله.

[1] "بهم" أي بملابسة بعضهم فيها فإنه ورد أنه مر ببعضهم في السموات لا كما هو المتبادر من قوله أنهم صاحبوه حين جاب السموات ويريد بقوله "منورة درية اللجم" البراق والوارد أنه ﷺ ركب البراق إلى بيت المقدس أما عروجه إلى السماء فلم يكن علي البراق على الصحيح .

[2] "من" في قوله "من عز ومن شرف" للتعليل أي لأجل عزك وشرفك "الأينق الرسم" النوق الشديدة الوطء لقوتها حتى كأنها ترسم في الأرض بمشيها آثارها ظاهرة و"الرسم "واحدها رسوم.. "الجياد" جمع جواد وهو الفرس الرائع البين الجودة.

المعنى أن هذه المطية التي أقلتك يومئذ لا نظير لها في الجياد ولا مثيل لها بين النوق وليست من تلك المطايا التي يعهدها الناس بل هي شيء اختصك الله به إعزازا لأمرك وتشريفا لقدرك وهو البراق .

والأحاديث الواردة في صفته كثيرة منها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال "أتيت بالبراق وهو دابة

مشيئة الخالق الباري وصنعته وقدرة الله فوق الشك والتهم[1]
حتى بلغت سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم[2]
وقيل كل نبي عند رتبته ويا محمد هذا العرش فاستلم[3]

أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس " (الحديث)

[1] لما ذكر البراق وأنه ليس من جنس هذه الدواب التي يمتطيها الناس ويعتملون عليها وأن له من السرعة ما لا يجري الخاطر بمثله خاف أن يسرع في ذلك الشك إلى مراض القلوب رقاق العقائد الذين يحسبون أن إدارة الله لا تنزل إلا على حكم أوهامهم وتصوراتهم وأن قدرته تعالى لا تجوز ما يجري كل يوم بين أيديهم وما يتردد على أنظارهم فاستدرك البيت بأن ذلك كان بإدارة الله تعالى وقدرته ولا يخرج عنهما شيء من الممكنات لا يصيب ذلك شك ولا تناله تهمة.

[2] قد علمت أن عروجه ﷺ إلى السماء لم يكن على البراق كما هو ظاهر البيت والوارد في الصحيح أن صعوده كان على المعراج .

[3] "وقيل " أي بلسان الحال "كل نبي" من الذين في السموات "عند رتبته" أي منزله في السماء التي هو فيها "ويا محمد" بلسان الحال أيضا" هذا العرش فاستلم" لم يرد في الصحيح بلوغه ﷺ العرش ولعل استلامه هنا كناية عن مزيد القرب من رب العزة لأن من بلغ عرش الملك فقد دنا منه دنوا عظيما .

خططت للدين والدنيا علومهما ... يا قارئ للوح بل يا لامس القلم [1]
أحطت بينهما بالسر وانكشفت ... لك الخزائن من علم ومن حكم [2]
وضاعف القرب ما قلدت من منن ... بلا عداد وما طوقت من نعم [3]
سل عصبة الشرك حول الغار سائمة ... لولا مطاردة المختار لم تسم [4]

---

[1] "خطة علوم الدين والدنيا "كناية عن تعليمها الناس وبثها فيهم و"قراءة اللوح ولمس القلم" كناية عن إطلاع الله له على ما أطلعه عليه من الغيوب وقد ورد أنه ﷺ في تلك الليلة ظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام.

[2] عن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ علمني ربي ليلة الاسراء علوما شتى فعلم أخذ على كتمانه وعلم خيرني فيه وعلم أمرني بتبليغه.

[3] يجوز أن يكون "القرب" فاعلا لضاعف و"ما" وما بعدها مفعولا به، والمعنى أن قربه من الله تعالى قد أربى على جميع ما وليه ﷺ من النعم التي لا يدركها العد فكانت بإضافة القرب إليها أضعاف ما كانت قبله.. ويجوز أن يكون مفعولا والفاعل "ما" وما بعدها والمعنى أن ما تجلى الله تعالى به عليه من النعم التي لا تعد، وأولاه من الفضائل التي لا تحصى قد زاد قربه لأنه كقرب على قرب والأول أولى .

[4] "عصبة الشرك" أي عصبة أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه ﷺ يوم مهجره.

هل أبصروا الأثر الوضاء أم سمعوا همس التسابيح والفرآن من أمم[1]
وهل تمثل نسج العنكبوت لهم كالغاب والحائمات الزغب كالرخم[2]

"الغار" كالثقب بجبل ثور أسفل مكة ـ (سائمة) راعية ومنه قوله ﷺ "في سائمة الغنم الزكاة" وسائمة هنا بمعنى الباحثين المنقبة عنه عليه الصلاة والسلام وذلك أنه لما خرج من مكة يريد الهجرة إلى المدينة واشتد القوم في طلبه وكانوا قد بيتوا نيتهم على قتله توارى هو والصديق رضوان الله عليه في هذا الغار وأقبل القوم يلتمسونها فيه فصرفهم الله بما سيرد عليك ذكره من الآيات البينات وعصم الله رسوله من الناس .

[1]"من أمم" من قرب.

المعنى ما الذي أمسكهم عن الدخول إليهما في الغار هل أبصروا أثر النبوة الوضاد فدخلتهم من ذلك الهيبة أم سمعوا تسبيحه ﷺ في جوف الغار وقراءته القرآن فوقعت لهم منه روعة وأدركتهم له رقة؟

[2] "الغاب" مضى أنه الشجر الكثير المتكاثف "الحائمات الزغب" الحمام "الرخم "جمع رخمة وهي طائر على شكل النسر إلا أنه منقط بالسواد والبياض.

المعنى ما الذي منعهم من النفوذ إلى الغار؟ هل خيل إليهم أن ما تهدل على فمه من العنكبوت ذلك النسج الرقيق الواهن غابا .

فـأدبروا ووجـوه الأرض تلعـنهم كباطـل مـن جـلال الحـق منهـزم[1]

كثيفا منيعا لا ينال ما وراءه فخافوا المضي فيه وأن ذلك الحمام الوادع على مجازه كان رخما يتخطفهم وينفذ بهم في جو السماء أو يهوي بهم في مكان سحيق؟

في مسند البزار أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وأن ذلك مما صد المشركين.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ولما كان ليلة بات النبي ﷺ في الغار أمر الله وأتى المشركون من كل بطن حتى إذا كانوا من النبي ﷺ علي قدر أربعين ذراعا معهم قسيهم وعصيهم تقدم رجل منهم فرأى حمامتين على فم الغار فقال لأصحابه ليس في الغار شيء رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد، وقال رجل آخر الغار فقال أمية بن خلف ما أربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ما أرى أنه قبل أن يولد محمد.

[1] شبه إدبارهم ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وإدحاضه قال تعالى "بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق".

ونسبة اللعن لوجوه الأرض مجاز عقلي واللاعن من فيها من المسلمين والملائكة أو المراد وجوه أهلها أي أعيانهم وأفاضلهم .

لـولا يـد الله بالجـارين مـا سـلما وعينـه حـول ركـن الـدين لـم يقـم[1]
تواريـــا بجنـــاح الله واســـتترا ومـن يضـم جنـاح الله لا يضـم[2]

---

[1] "الجاران" الرسول ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه والمراد "باليد" النعمة و"عينه" عاينه .

وحرف الشرط مقدر في الجملة الثانية

المعنى لم يكن مانعهما العنكبوت ولا صادا عنهما الحمام بل هي عصمة الله تعالى لنبيه "والله يعصمك من الناس" وحفظه رياه وما جرى في سابق علمه من سلامة الرسول ﷺ وبقائه حتى يقيم به عمود الدين وينشر رسالته في العالمين .

قال تعالى "إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها" (الآية)

روى البخاري عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين قلت يا رسول الله لو أن أحدهم دفع قدمه رآنا.. قال ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

وقال صاحب البردة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الأطم

[2]"جناح الله "لطفه وستره "يضم" يضمه
تجوز بالجناح عن اللطف والستر لأنهما لازمان له كما يضم الطائر جناحه علي فرخه

يا أحمد الخير لي جاه بتسميتي وكيف لا يتسامي بالرسول سمي [1]
المادحون وأرباب الهوى تبع لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم[2]

على فرخه

وفي البيت الجناس

[1] من أسمائه ﷺ" أحمد" وقد سمي الشاعر به تيمنا باسم الرسول الأكرم "يتسامى" يتعالى، والاستفهام في البيت إنكاري

المعنى أنه من حقي أن أفخر وأتعالى بالانتساب إلى اسم رسول الله ﷺ فقد وجبت لي بذلك الحرمة وثبتت لي منه الذمة، وقد وردت الأخبار في فضل التسمي باسمه ﷺ وقال صاحب البردة في هذا المعني

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

[2] "تبع" أخبر بالمصدر مبالغة وأفرده لأنه يستوي فيه الواحد والجمع أو على تقدير مضاف أي ذوو اتبع أي مقتدون به مقفون علي أثره .

"ذو القدم" التقدم والمنزلة "صاحب البردة" على ما في فوات الوفيات هو الإمام محمد ابن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيري.

كان أحد أبوابه من "أبو صير" والآخر من "دلاص" فركبت له نسبة منهما وقيل "الدلا صيري" لكنه أشتهر "بالبوصيري".

كان يعاني صناعة الكتابة والتصرف وباشر الشرقية "ببلبيس" وله تلك القصيدة المشهورة التي نظمها في مباشري الشرقية وأولها

نقـــدت طوائـــف المســـتخدمينا فلـــم أر فـــيهم رجـــلا أمينـــا
فقـــد عاشـــرتم ولبثـــت فـــيهم مـع التجريـب مـن عمـري سـنينا
فكتـــاب الشـــمال هـــم جميعـــا فـــلا صـــحبت شـــمالهم اليمينـــا

وهي طويلة وشعره في غاية الحسن واللطافة عذب الألفاظ منسجم التركيب وله في مدائح النبي ﷺ قصائد طنانة وقصيدته المشهورة بالبردة.

قال البوصيري: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ منها ما كان اقترحه علي الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالج أبطل نصفي ففكرت في عمل قصيدتي هذه "البردة" فعملتها واستشفعت بها إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت ونمت فرأيت النبي ﷺ فمسح على وجعي بيده المباركة وألقى علي بردة فانتبهت ووجدت في نهضة فقمت وخرجت من بيتي ولم أكن أعلمت بذلك أحدا فلقيني بعض الفقراء فقال لي أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ قلت: أيها؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك.. وذكر أولها وقال والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ فرأيت رسول الله ﷺ يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بردة فأعطيته إياها وذكر الفقير ذلك وشاع المنام .

وتوفي عام ٦٩٥ على ما ذكره السيد مرتضى الزبيدي .

مديحة فيك حب خالص وهوى وصادق الحب يملي صادق الكلم[1]

الله يشـــهد أنـــي لا أعارضـــه من ذ يعارض صوب العارض العرم[2]

هذا وقبره شهير بمدينة الإسكندرية يتصل به مسجد كبير يسمى باسمه أضحى اليوم محتشدا بدروس العلم والدين بتوفيق الله تعالى وحسن عناية سمو العباس حيث قد دخل هذا المسجد في جملة المساجد التي اتخذت معاهد العلم في مدينة الإسكندرية تلك المعاهد التي أنشأها الجناب العالي الخديوي عباس حلمي الثاني إشاعة للعلم وإحياء للدين الكريم .

[1] "مديحة حب" أي ناشئ من الحب أو ذو حب أي دال عليه . المعنى أن مديح البوصيري لك لم يجربه عرض من أعراض الدنيا ولا هو يبتغي منه غرضا من أغراضها بل كان ناشئا عن حب لك وإخلاص لم تشبه شائبة وإذا كان الأمر كذلك كان قوله منطبقا على صفاتك ومزاياك التي نشأ عنها حبه لك وجرى بها مديحه فيك.

وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل

[2] "الصوب" الانصباب ومجيء السماء بالمطر "العارض" السحاب المعترض في الأفق "العرم" يريد المطر الشديد.

يريد أنه لم يطاول البوصيري في بردته أو يقصد مساماته والتبريز عليه في بلاغة شعره ورقة نظمه ولطف منزعه وإن كان جاراه في رويه وقافيته والغرض من نظم قصيدته وهو مدح المصطفي ﷺ.

وفي البيت الجناس

وإنما أنا بعض الغابطين ومن يغبط وليك لا يذمم ولا يُلم [1]

هذا مقام من الرحمن مقتبس ترمي مهابته سحبان بالبكم[2]

البدر دونك في حسن وفي شرف والبحر دونك في خير وفي كرم[3]

---

[1] "الغابط" الذي يتمنى مثل ما للغير وليس هذا القدر بمذموم "يذمر" يذم

[2] "البكر" الخرس..

"سحبان" هو سحبان وائل من بني باهلة كان يضرب بفصاحته المثل روي أنه كان يقوم متوكئا على عصاه ويتكلم ساعات متواليات فلا يتلعثم ولا يتنحنح ولا يخرج من معنى إلى معنى أو يتنقل في فنون الكلام من فن إلى فن إلا كان ذلك أخفى من السر وأدق من السحر.. أدرك الإسلام وأسلم وبقي إلى زمن معاوية رحمة الله ومن شعره

لقد علم الحي اليمانون أنني إذا قلت أما بعد أني خطيبها

المعنى أن مدح الرسول ﷺ وذكر صفاته العالية وتعداد مناقبه الشريفة التي اختصه الله بها لا قبل للبشر بلوغه حتى ولا سحبان الذي هو أفصح الناس وأقدرهم على القول بل لابد من معونة الله في ذلك وتسديده حتى يوفق العبد إلى بلوغ هذا المقام.

[3] البيت بمثابة التعليل للبيت الذي قبله كأنه يقول كيف يستطيع المرء أن يوفيك ما أنت أهله من الثناء والحمد ويقدر بقوله أوصافك الشريفة ونعوتك الكريمة أليس البدر آخر ما يذهب إليه تشبيه الواصف الحسن

شم الجبال إذا طاولتها انخفضت والأنجم الزهر ما واسمتها تسم[1]

والشرف وقد أوفيت عليه في ذلك والبحر أليس آخر ما ينتهي إليه تشبيه الناعت بالجود والكرم.. فماذا يقول القائل وقد أريت على البحر في جودك وفي برك وفي كرمك.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: ما سئل رسول الله ﷺ عن شيء فقال لا.

عن ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى فاقة.. وعنه رضي الله عنه كان النبي ﷺ لا يدخر شيئا لغده وروي أنه أعطى ﷺ غير واحد مائة من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة.

وروي أنه ﷺ أعطى العباس ما لم يطق حمله وحمل إليه ﷺ تسعين ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها

والأخبار في جوده ﷺ وبره وسماحه أكثر من أن يسعها هذا السفر

[1] "واسمتها" يقال واسمه في الحسن فوسمه غلبه فيه .

والليث دونك بأسا عند وثبته إذا مشيت إلى شاكي السلاح كمي[1]

"انخفاض الجبال" كناية عن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره ﷺ وعلو شأنه ويقال في البيت ما قيل في البيت السابق

[1] "الكمي" لابس السلاح أبلغ ما يظهر بأس الشجاع وقوته إذا مشى إلى قرنه الشاكي سلاحه اللابس لبوس حربه ونضاله حيث تتخلع القلوب وتتخاذل بالمرء قوائمه لكن رسول الله ﷺ في هذه الحال كان أقوى بأسا من الأسد ساعة وثوبه والأسد إذا وثب كان أشد ما يكون شدة وأقوى ما يكون قوة.

عن علي رضي الله عنه قال إنا كنا إذا حمي البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله ﷺ فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ وهو أقربنا إلى العدو.

وروي أن أبي بن خلف كان يقول للنبي ﷺ حين افتدي يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال ﷺ أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله ﷺ فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي ﷺ هكذا.. أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن أصمة فانتفض بها انتفاضة تطاير عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتقض ثم استقبله النبي ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه .

تهفو إليك وإن أدميت حبتها فـي الحـرب أفئـدة الأبطـال والـبهم[1]

فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك.. فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني؛ فمات بسرف في قفول القوم إلى مكة.

عن البراء رضي الله عنه وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله ﷺ قال لكن رسول الله ﷺ لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي ﷺ يقول أنا النبي لا كذب، وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب، قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه وروى مسلم عن العباس رضي الله عنه قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله ﷺ يركض ببغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه.

وقد قيل إنه ما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه ﷺ.

[1] "تهفو" هفا الظبي في المشي يهفو هفوا وهفوانا، أسرع وخف فيه والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها إليه ﷺ "حبة" القلب سويداؤه.. "البهم" جمع بهمة وهو الشجاع الذي لا يهتدي في أن يؤتى .

محبـــــة الله ألقاهـــــا وهيبتـــــه على ابن آمنة في كل مصطدم[1]
كأن وجهك تحت النقع بدر دجى يضـــي ملتثمـــا أو غيـــر ملتـــثم[2]
بـــدر تطلـــع فـــي بـــدر فغرتـــه كغرة النصر تجلو داجي الظلم[3]

---

[1] "ابن آمنة" هي آمنة بنت وهب سيد بني زهرة وأفضلهم نسبا وموضعا ابن عبد مناف بن زهرة، واسمه المغيرة بن حكيم بن مرة، وقد تقدم لك أن حكيما ملتقى نسب أبيه بنسب أمه ﷺ "مصطدم" بمعنى المصدر أي الاصطدام أو الموضع أي موضع الاصطدام وهو ميدان الحرب.

[2] النقع غبار الحرب

[3] "بدر" موضع بين الحرمين الشريفين أسفل وادي الصفراء هو من المدينة على ثمانية وعشرين فرسخا، وكان موسما من مواسم العرب تجتمع لهم به سوق كل عام، وفي "بدر" كانت الغزوة المشهورة التي دمغ الله فيها الشرك وأعز الإسلام وذلك أن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان مقبلا من الشام في عير لقريش يطلبون مكة فندب المسلمين إليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها فلعل الله أن ينفلكموها فخف بعضهم وثقل بعضهم، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربا وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمداً استنفر أصحابه لك ولعيرك فجد عند ذلك واستأجر رجلا فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم الخبر فمضى الرجل سريعا إلى مكة حتى إذا كان ببطن الوادي صرخ يا معشر قريش اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث..

فنفروا ليمنعوا عن عيرهم وكان عددهم إذ خرجوا من مكة ألفا ومائتين وخمسين رجلا ثم رجع منهم ثلاثمائة وقيل بقي ألف معهم مائة فرس كل فرس عليها درع عدا ما مع المشاة من الدروع وسبعمائة بغير وخرج ﷺ لثلاث خلون من رمضان في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فكان من المهاجرين نيف وستون ومن الأنصار مائتان ونيف وأربعون معهم فرسان وقيل ثلاثة وقيل خمسة وست دروع وثمانية أسياف وسبعون بعيرا، وما كان خروجهم للقتال ولكن يبغون التعرض للعير كما تقدم القول .

عن كعب بن مالك رضي الله عنه: "لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد".

قال تعالى "ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد" وارتحل رسول الله ﷺ حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتجسسان له الخير عن أبي سفيان بن حرب ثم ارتحل ﷺ وترك الصفراء يسارا وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا غيرهم فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش وخيرهم بين العير والنفير فكان لقاء العير أحب إلى بعضهم لأنها أيسر شوكة وأوفر مغنما.. قال تعالى "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم" فقام أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد بن الأسود فقال لا نقول كما قال قوم موسى "اذهب أنت وربك فقاتلا" ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فأشرق وجهه ﷺ وسره قوله ثم قال ﷺ أشيروا علي أيها الناس (وإنما يريد الأنصار) فقال سعد بن معاذ: "لكأنك تريدنا يا رسول الله"، قال: "أجل".. قال: "فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك العهود فامض يا رسول الله لما أمرت".

فارتحل رسول الله ﷺ من ذفران وسلك على ثنايا يقال لها الأصافر ثم انحط منها على بلد يقال له الدبة ثم نزل قريبا من بدر فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخير فأصابوا رواية لقريش معها غلامان فانطلقوا بهما إلى النبي ﷺ فسألهما عن قريش فقالا هم وراء هذا الكثيب.. فقال لهما: "كم القول".. قالا: "لا ندري".. قال: "كم يرون من الجزر كل يوم" قالا: "يوما تسعا ويوما عشرا" قال: "القوم ما بين التسعمائة والألف" قال لهما: "من فيهم من أشراف قريش" قالا: "عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البحتري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف" فقال عليه الصلاة والسلام: "هذه قريش قد ألقت إلى المؤمنين أفلاذ أكبادها" وفي رواية: "هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ أكبادها" .

وكان بسبس بن عمر وعدي بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء فسمعا جاريتين وهما تتلازمان على الماء وإحداهما تقول لصاحبتها: "إنما تأتي العير غدا أو بعد غد" فانطلقا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمعا وأقبل أبو سفيان حين تقدم العير حتى ورد الماء وعرف خبر القوم فرجع إلى أصحابه سريعا فصرف وجه عيره عن الطريق وترك بدرا يسارا ثم انطلق حتى أسرع وأقبلت قريش فنزلوا الجحفة

ولما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل إلى قريش: "إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا" فقال أبو جهل: "والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا"

ومضى المشركون حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المؤمنون بالعدوة الدنيا قال تعالى "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم" (الآية)

فأصاب المشركون أرضا صلبة وأصاب المسلمون كثيبا أعفر من الرمل تسوخ فيه أقدام الناس وحوافر الدواب واشتدت حاجتهم إلى الماء ليطهروا منه ويدفعوا به ما أدركهم من الظمأ ووسوس الشيطان إلى بعضهم فقال يزعمون أنكم على الحق وأن فيكم رسول الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم عدوكم على الماء وأنتم عطاشى محدثون فبعث الله السماء فأصاب المسلمين ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم المسير وأصاب قريشا منه ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه فزالت وساوس الشيطان واطمأنت نفوس المسلمين وثبتت على الأرض أقدامهم، فذلك قوله تعالى "وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام"

وخرج رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بدر فنزل به

قيل إن الحباب بن المنذر بن الجموح قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب المكيدة.. قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة؛ فقال: يا رسول الله إن هذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من مياه القوم فتنزله ثم تغور ما سواه من القلب ثم تبني عليه حوضا فتملأه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله ﷺ لقد أشرت بالرأي ونهض بمن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنوا حوضا على القليب الذي نزل عليه

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ألا نبني لك يا رسول الله عريشا تكون فيه وندع عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد حبالك منهم؛ فبنى العريش فوق تل مشرف على موضع القتال قال السمهودي وهو معروف مكانه عند مسجد بدر بقرب العين

ثم صف النبي أصحابه صفوفا وأقبلت قريش ورآها ﷺ فقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفجارها تحادد وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني

وبعثت قريش عمير بن وهب الجمحي وأسلم بعد ذلك قالوا له أحرز لنا أصحاب محمد فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصونه لكن أمهلوني حتى أنظر للقوم كمينا أو مددا فضرب في الوادي حتى أمعن فلم ير شيئا فرجع فقال لم أر شيئا ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع فقوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتل رجلا منهم حتى يقتل رجلا منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم؛ فمال حكيم بن حزام إلى قوله وأتى عتبة بن ربيعة فشايعه على ذلك وأرسل إلى أبي جهل يسأله الرأي فأبى إلا الحرب وأفسد على الناس رأيهم في ترك القتال وبعث إلى عامر بن الحضرمي فأذن في الناس بالقتال فخرج الأسود المخزومي وكان شرسا سيء الخلق فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فلما أهوى إلى الحوض تلقاه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يبر بيمينه وابتعه حمزه فضربه حتى قتله في الحوض وهو أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين.

ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتية من الأنصار فقالوا من أنتم قالوا رهط من الأنصار قالوا ما لنا بكم حاجة.. ثم نادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فأمر ﷺ الفتية بالرجوع وأشار إلى عبيدة بن الحارث وحمزة وعلي رضي الله عنهم فنهضوا إليهم قالوا من أنتم فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالو نعم أكفاء كرام فقتل علي الوليد وقتل حمزة شيبة واختلف عبيدة عتبة و بضربتين فأنحنى كل صاحبه فكر حمزة وعلي على عتبة بأسيافهما فدففا عليه فقتلاه واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به إلى أصحابه .

ثم تزاحفت الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل.

وروى البخاري عن أبي أسيد رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله ﷺ يوم بدر إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم "أكثبوكم" أي غشوكم واختلطوا بكم "واستبقوا نبلكم" أي إذا كانوا على بعد فلا ترموهم فإن الرمي على هذه الحال يخطئ غالبا فلا يقع به الغرض من نكاية العدو فإذاهم صانوها عن ذلك فقد استبقوها لوقت اقتراب العدو حيث يقع بها الغرض وتنتظم بها القلوب.

وخرج ﷺ يعدل صفوف أصحابه بقدح في يده ثم رجع إلى العريش وناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر بقول تعالي "وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم" .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ يوم بدر: "اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد" فأخذ أبو بكر بيده فقال: "حسبك" فخرج وهو يقول "سيهزم الجمع ويولون الدبر" .

ولما اصطف الناس للقتال كان أول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر بن الحضرمي بسهم فكان أول قتيل قتل من المسلمين وصدق الله وعده وأعز جنده وأمدهم بالملائكة مردفين.

قال تعالى "ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأنوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين".

وقال تعالى "إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم " إلى قوله تعالى "إذ يوحي ربك للملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان" الآية .

ورد في الصحيح أن رسول الله ﷺ لما كان في العريش أخذته سنة من النوم ثم استيقظ متبسما وقال أبشر يا أبو بكر أتاك النصر الله هذا جبريل على ثيابه النقع .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه.

ثم خرج رسول الله ﷺ من العريش إلى الناس فحرضهم ونقل كل امرئ ما أصاب وقال "والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة" فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلها: "ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء" ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول .

ركضا إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضه النفاد

غير التقى والبر والرشاد

وقتل أبو جهل قتله ابنا عفراء معاذ ومعوذ الأنصاريان

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لي أحدهما سرا

من صاحبه يا عم أرني أبا جهل فقلت يا ابن أخي وما تصنع به قال عاهدت لله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله قال فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما إليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما أبنا عفراء

وحمي البأس وقعقع النبل وتصافحت السيوف وتداكت الصفوف على الصفوف وخرست الألسن ونطقت الأسنة وتعلقت الأنفاس وجالت المنايا وقال رسول الله ﷺ لأصحابه شدوا فكانت الهزيمة وقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر منهم من أسر ورسول الله ﷺ في العريش وسعد بن معاذ قائم على بابه متوشحا بسيفه في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله ﷺ يخافون عليه كرة العدو وأصاب المسلمون من المشركين مائة وأربعين سبعين أسيرا وسبعين قتيلا

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال استقبل النبي ﷺ الكعبة فدعا على نفر من قريش على شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وأبي جهل بن هشام فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعي قد غيرتهم الشمس وكان يوما حارا .

وأمر ﷺ بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في قليب من قلب بدر خبيث مخبث وختم الله بالفوز للمسلمين وأعلى كلمة الإسلام.

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول عند قراءة سورة الأنفال: طوبي لجيش قائدهم رسول الله ومبارزهم عدو الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .

ذكرت باليتم في القرآن تكرمة وقيمة اللؤلؤ المكنون في اليتم[1]

الله قسم بين الناس رزقهم وأنت خيرت في الأرزاق والقسم[2]

إن قلت في الأمر لا أو قلت فيه نعم فخيرة الله في لا منك أو نعم [3]

---

[1] "اليتم" في الناس فقدان الأب وهو في الأشياء التفرد وعدم وجود نظائر لها واللؤلؤة اليتيمة التي لا نظير لها في العقد "ذكرت باليتم في القرآن" يشير إلى قوله تعالى "ألم يجدك يتيما فآوى" .

وحرك التاء إتباعا لحركة العين قبلها في قوله "اليتم" أو هم بالضم جمع صفة لموصوف محذوف أي أن قيمة اللآلئ المعتبرة في اللآلئ اليتم ولا يخفى ما فيه من حسن التعليل

[2] روى الترمذي عنه ﷺ قال عرض علي ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما وقال صاحب البردة في هذا المعني

وراودته الجبال الشم من ذهب عن نفسه فأراها أيما شمم

وفي البيت الجناس

[3] وكيف لا وقد أوتي ﷺ من كمال العقل وتمام الرشد وصحة الرأي وبعد النظر ونفوذه في بواطن الأشياء وإصابته أعقابها ما لم يؤته مخلوق قبله ولا بعده هذا إلى عصمة الله تعالى وتوفيقه إياه وإلهامه الصواب في القول والعمل

وحرك الميم في قوله "نعم" لضرورة القافية

أخوك عيسي دعا ميتا فقام له وأنت أحييت أجيالا من الرمم[1]
والجهل موت فإن أوتيت معجزة فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم[2]

---

[1] "الأجيال" جمع جيل وهو الصنف من الناس "الرمم" جمع رمة وهي العظام البالية .

شبه الأيقاظ والتنبيه من الغفلة بالإحياء بجامع ما به المنفعة واستعار الأحياء لإيقاظ القلوب وإخراجها من ظلمات الجهل على سبيل التبعية .

[2] "والجهل موت" كالترشيح للاستعارة في البيت السابق وهو تشبيه بليغ "أوتيت" خطاب لغير معين على حد قوله تعالى "وإذا رأيت ثم رأيت نعيما" أي يا من يتأتى أن تجري على يديه معجزة وهو كالاستدلال على البيت قبله وإلا فأمر الوحي قد ارتفع فلا تقع بعد رسول الله ﷺ معجزة قال تعالى "وخاتم النبيين" وقال ﷺ أنا العاقب فلا نبي بعدي

ويحتمل أن يكون خطابا للرسول ﷺ لاستحضار صورته الكريمة كأنه حاضر فيخاطب فالشرط في قوله "فإن أوتيت" للتحقيق لا للشك نظير "إن كنتم إياه تعبدون" وإن كنت ابني فافعل كذا.

"فابعث من الجهل أي أحيي قلوبا ميتة الشرك بسبب جهلها والأمر في قوله "فابعث" على أن الخطاب للنبي ﷺ بمعنى الخبر والمعنى: وإذ أعطيت معجزة فسواء إحياؤك القلوب أي إنقاذك لها .

قالوا غزوت ورسل الله ما بعثوا لقتل نفس ولا جاءوا لسفك دم[1]
جهل وتضليل أحلام وسفسطة فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم[2]

من ظلمات الجهل والشرك وإحياؤك الموتى والأولى أعظم وأنفع و"الرجم" القبر

[1]يشير في البيت إلى مقالة بعض المتكلمين من أهل الأديان الأخرى من أن الحرب والقتل وسفك الدماء ليست من خلة الأنبياء الذين ما بعثوا في الناس إلا لتقرير سعادتهم وأي سعادة أبلغ من أن تكف دماؤهم وتعصم نفوسهم وعدوا عليه غزواته ﷺوأسرفوا في هذا الباب وألحوا على أسماع الناس بأمثال هذا الأقاويل حتى صوروا رسالته للجاهلين سيفا مرهفا "ينزف دما ويسيل مهجا".

[2] رد عليهم في هذا البيت بأن زعمهم ذاك إنما كان من الجهل المطبق بسيرته عليه الصلاة والسلام في غزواته وقلب الحاقئق بغية اشتباه الناس في أمره وصرفهم عن اتساع دعوته واتباع دينه فإن أمره عليه الصلاة والسلام في غزواته لم يكن لينطبق على شيء مما زعموا، وكتب التواريخ والسير تشهد أنه لم يشهر على قوم حربا إلا بعد أن استنفد باب الكلام وأدلى بالحجة وأقام البرهان وبعد أن أفرغ الجهد بالإعذار والإنذار والترغيب في حسن الجزاء والترهيب من سوء العذاب وبعد أن أوذي في نفسه وأهله وعشيرته وهو يصابر قومه رجاء سكونهم إلى الحق إمساكهم عن التمادي في البغي وبعد أن لم يتجد بدا من مقابلة السيف بالسيف فإن القوم كانوا أهل طعان وضراب لا يسمعون إلا بصليل السيوف ولا ينصتون

فإن القوم كانوا أهل طعان وضراب لا يسمعون إلا بصليل السيوف ولا ينصتون للحق إلا إذا روته لهم الأسنة

عنها الحديث إذا هم حاولوا سمرا والرزق منها إذا حلوا أما ريتا

وما ظنك بقوم كان يتلي فهيم كتاب الله وهو المعجزة الباقية علي الدهور حتي إذا لم يبق لهم منفذ من الرضوخ للحجة الساطعة أخذتهم العزة بالإثم وجعلوا أصابعهم في آذانعم وأصروا واستكبروا استكبارا وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغو فيه لعلكم تغلبون.

فلم يبق طريق لنشر دعوة الله مع المرشك المتعنت الواقف في طريق الحق مجردا سيفه شاهرا رمحه إلا الدخول معه في ساحة النزال لينكف عن وجه الدعوة ويكون الدين كله لله.

وقد أشار بقوله "فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم" إلي أن دعوته صلي الله عليه وسلم لم تقم علي أخذ الناس بأسباب القوة واضطرارهم إلي الدين بالسيف والرمح كيف وأول ما نزل من كتاب الله تعالي "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم " فكان ذلك اشارة رلي أن دعوته ﷺ ستقوم علي الحجة والبرهان وقد كان ذلك فهدي الله من هدي ولج أهل العنت في بغيهم وعتوهم وسلوا في وجه الدعوة سيفوهم فنزلت بعد ذلك آيات الجهاد

إذا شذت نازيت أمرء السوء ما نزا إليك ولا طمت اللئيم الملطما

لما أتى لك عفوا كل ذي حسب تكفل السيف بالجهال والعمم[1]
والشر إن تلقه بالخير ضقت به ذرعا وإن تلقه بالشر ينحسم [2]

---

[1] "العمم" اسم جمع للعامة

بين في هذا البيت أن أهل العقل والإدراك وذوي الأحساب والأنساب ممن هدى الله لم يفتقر الأمر فيهم إلى استعمال السيف بل سلمت عقولهم للحجة والبرهان وبادروا إلى طاعة الله من غير حرب ولا قتال بخلاف أهل الجهل والعناد الذين لم يكن لينفع فيهم غير القوة المادية فإنها السبيل الوحيد لإذعانهم وتسليمهم وعدم وقوفهم في وجه الحق وتعرضهم بالسوء للدعاة إليه .

[2] أجرى المثل في هذا البيت تبيانا للحجة القائمة في الأبيات قبله من أن غزواته عليه الصلاة والسلام كانت لخير الناس لا لشرهم وأنها كانت مما تقضي به الحكمة الإلهية في مصلحة العباد لتقويم أمر معاشهم ومعادهم وأنه لو تركهم يسرفون في الباطل ويبغون على الحق ويفرطون على أهله ولم يقابل طغيانهم عليه وعلى أصحابه بالبأس والشدة لاستطار شرهم ولما قامت للدين وأهله بعد ذلك قائمة.

وكنت إذا قوم رموني رميتهم فهل أنا في ذيال همدان ظالم
متى تصحب القلب الذكي وصارما وأنفا حميا تجتنبك المظالم

وقوله "بالشر" أي بالقوة والبأس وسماه "شرا" مشاكلة قال تعالى "وجزاء سيئة سيئة مثلها"

سل المسيحية السمحاء كم شربت بالصاب من شهوات الظالم الغلم[١]
طريدة الشرك يوذيها ويوسعها في كل حين قتالا ساطع الحدم [٢]
لولا حماة لها هبوا لنصرتها بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحم[٣]

---

[١] "السمحاء" الوارد في كتب اللغة السمحة وهي التي لا ضيق فيها ولا شدة قال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفة السمحة "الغلم" الهائج الثائر الشهوة.

[٢] "الحدم" بالتحريك شدة احتراق النار وحميها

[٣] "الرحم" الرقة والمغفرة والتعطف

لم يكن استعمال القوة في إقامة الدعوة للدين شأن الدين الإسلامي وحده وهذه الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرهبنة والسلام لم تبدأ الدعوة إليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم من الطرد والقتل والتعذيب والتشريد والتمثيل بأيدي الجبابرة الطغاة من الملوك والقياصرة بل بأيدي الشعوب والأمم وتاريخ المسيحية بين أهل رومية مما تشيب له الولدان وكان أقل عذاب يصيبون به أهل هذه الديانة هناك طرحهم بين الحيوانات المفترسة من الأسود والنمور تمزق أشلاءهم وتقطع أحشاءهم وهم قيام ينظرون حتى اضطر المسيحيون إلى اتخاذ سراديب في جوف الأرض لكي لا تنالهم العيون ولا تدركهم أيدي الطغاة الظالمين على أنهم إذا ظهروا للناس بالغوا في كتمان أمرهم وتعرف الواحد منهم إلى أخيه باشارات خاصة جعلوها سرا بينهم ودامت بهم الحال على العذاب الشديد فرونا حتى فشوا بحكم الزمان وتشيع لهم أحد القياصرة ليتخدهم عدته في إقامة ملكه وتوسيع نطاقه وجعل منهم جيوشه ورمى بهم عدوه ومقاتله فحاربوا تحت لوائه مستبسلين جزاء يده عليهم ففتحوا الفتوح وملكوا الشعوب

لـولا مكـان لعيسـي عنـد مرسـله وحرمـة وجبـت الـروح فـي القـدم[١]
لسـمر البـدن الطهـر الشـريف علـى لوحين لم يخش موذيه ولم يجم[٢]
جـل المسـيح وذاق الصـلب شـائنه إن العقـاب بقـدر الـذنب والجـرم[٣]

فانتشر من ذلك العهد الدين المسيحي وشاع في كثير من بقاع الأرض فترى الدين المسيحي دين الرهبنة والسلام ما دخل البلاد إلا على رؤوس الأسنة ولا حمل إلى الأمم إلا على متون السيوف

فذلك قوله "لولا حماة لها" البيت

[١] "مكان "مكانة بمعنى القرب وارتفاع المنزلة لأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة "وجبت" ثبتت له من القدم لأن الله تعالى علم الأشياء وأرادها ألا فصارت واجبه بمعنى أنها لا تختلف أبدا.

والخبر محذوف في قوله "مكان "و"حرمة" أي ثابتان

[٢] "لسمر" جواب الشرط في البيت السابق "الطهر" الطاهر من أدران المعاصي ووصف بالمصدر مبالغة. "اللوحان" الصليب الذي أعد له ﷺ والمراد "بالتسمير" الصلب "لم يجم" لم يفزع.

[٣] "جل المسيح" على تقدير المضاف أي قدره لأن الجلالة

أخــو النبــي وروح الله فــي نــزل فـوق السـماء ودون العـرش محتـرم[1]
علمـتهم كـل شـيء يجهلـون بـه حتـى القتـال ومـا فيـه مـن الـذمم[2]

لا تنسب الذات مطلقة إلا لله تعالى أي أنه ﷺ تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الأقاويل وعما زعموا من أنهم صلبوه وقتلوه "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم" "وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه".

"شائنه" مبغضه

وحرك الراء في قوله "والجرم" اتباعا لحركة الجيم قبلها

[1] "أخو النبي" أي في الرسالة "روح الله" أي روح منه.. قال تعالى "إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه" وسمى روحا لإحيائه الموتى بإذن الله ولأنه نفخ من جبريل قال تعالى "فنفخنا فيه من روحنا" ونسبة النفخ إلى الله تعالى مجاز.

و"من" في الآية للابتداء

"فوق السماء" أي السماء الدنيا "محترم" صفة لقوله "نزل" بضمتين وهو في الأصل المنزل وما هيئ للضيف أن ينزل عليه

[2] "الذمم" جمع ذمة وهي العهد والأمان والحق رجوع إلى خطابه ﷺ والضمير في قوله "علمتهم" لمن هداهم الله تعالى للإيمان المشار إليهم في البيت السابق بقوله "وأنت أحييت أجيالا من الرمم" .

لم يكن أحد أوفى من رسول الله ﷺ بعهد ولا أرعى منه لذمة ولا أحفظ لحرمة وقد جاء الدين الحنيف بهذا وتشدد فيه وأكثر من الوصية به قال تعالى "وأوفوا بالعهد إن

العهد كان مسؤولا" وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود" قال بعض أئمة التفسير ومن جملتها العهد والأمان بيننا وبين غيرنا .

وروى الشيخان عنه ﷺ أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا ائتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر، وقال عليه الصلاة والسلام لكل غادر لواء يعفر به يقال هذا غدرة فلان ابن فلان .

وقال ﷺ ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم

وقد صفى الله نفسه الكريمة من البغي والجبروت ملأ قلبه الشريف عطفا ورأفة حتى إنه ليدركه من الرحمة والرقة لأعدى عدوه أكثر مما بهذا من النقمة منه والضغن عليه ﷺ وما وضع سيفه إلا حيث اقتضت الحال ولم يكن بد من ذلك لدفع المكروه وكف البغاة المتجبرين الصادين عن سبيله اللاجئين في صرف ما بعث به من الرحمة والسعادة للناس أجمعين فإذا حاربه أهل السطوة والعدوان كان الأمر واقفا عند قراعهم وأخذهم بالسيف في معترك القتال فإذا أظهر الله عليهم وأمكنه من رقابهم نهى عن تعذيبهم والتمثيل بهم على كثرة ما آذوه ومثلوا بأصحابه وعشيرته وساموهم سوء العذاب "حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها"

كانوا يتواعدون لئن أصابوا أصحابه ليتخذن من جماجمهم كؤوسا يشربون بها قوله فإذا قامت الهيجاء ووضع أصحابه السيف فيهم قال ﷺ إذا قتلتم فأحسنوا القتلة فكان شأنه معهم في الحرب خيرا من شأنهم معه في السلم .

وآيات عفوه واحتماله وتجاوزه ﷺ لا يكاد يأخذها الإحصاء .

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله ﷺ منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء إليه برجل فقيل له هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي ﷺ لن تراع لن تراع.

وروي أن غويرث بن الحرث التمسه ﷺ في إحدى غزواته فإذا هو قائل تحت شجرة ولم ينتبه النبي ﷺ إلا وهو قائم والسيف مسلول بيده فقال غويرث من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه ﷺ وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فذهب الرجل إلى قومه يقول جئتكم من عند خير الناس .

وناهيك بما فعل ﷺ يوم فتح مكة يوم أظهره الله علي قريش وأمكنه من نواصيهم وليس فيهم إلا من وتره وآذاه وغلظ عليه فما كان إلا أن عفا عنهم وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء .

دعـوتهم لجهـاد فيـه سـؤددهم والحـرب أس نظـام الكـون والأمـم[١]
لـولاه لـم نـر للـدولات فـي زمـن مـا طـال مـن عمـد أو قـر مـن دعـم[٢]
تلـك الشـواهد تتـري كـل آونـة في الأعصر الغر لا في الأعصر الدهم[٣]

كل هذا كان أبلغ مثل لأصحابه رضوان الله عليهم في الوفاء بالذمم والتجاوز عمن ظلم ورد النفس عن الجري مع شهوتها في حب التشفي والانتقام.

[١] "سؤددهم" بعلو شأنهم في الدنيا وارتفاع درجتهم في الدار الآخرة

وقد جرى في الشطر الثاني من البيت مجرى المثل .

[٢] "عمد" جمع عمود.. "قر" ثبت.. "دُعُم" جمع دعامة وهي عماد البيت وهي هنا كناية عما يستقيم به نظام الممالك ويرتفع به شأن الأمم.

[٣] "الغر" جمع أغر ذي الغرة وهي بياض في الجبهة و"الأعصر الغر" التي ساد فيها العلم وعمت أسباب العدل "الدهم" جمع أدهم وهو الأسود و"الأعصر الدهم" المظلمة التي شاع في أهلها الجهل وفشا فيهم الظلم .

مازالت الغلبة للقوة ولازالت معتمد الدول ومستند الأمم في رفع عماد الملك وتثبيت دعامة الحكم استوى في ذلك الأزمان السالفة التي يظنونها أزمان تأخر وتقهقر والأيام الحضارة التي يزعمونها أيام تقدم وتنور

في البيت الطباق.

بالأمس مالت عروش واعتلت سرر ولولا القنا بل لم تثلم ولم تصم[1]
أشياع عيسى أعدوا كل قاصمة ولم نعد سوى حالات منقصم[2]

---

[1] "اعتلت" علت لأن افتعل يأتي بمعنى فعل

استشهد الشاعر في هذا البيت بما يجري أمامنا من حركات الأمم في هذه الأوقات وكلها لمن تأملها أدلة ناصعة على صدق قوله وصحة حكمه .

[2] "قاصمة" كاسرة "منقصم" منكسر

عمد الشاعر في هذا البيت إلى المقارنة بين أهل الديانة المسيحية وأهل الديانة الإسلامية فذكر أن المتشيعين اليوم إلى الدين المسيحي "دين الهدوء والسلام" هم أهل القوة الحربية الدائبون على إعداد المهلكات الصاعقات في الحروب حتى كأنهم أصبحوا ولم يبق لهم من شغل يشغلهم إلا استخراج الذهب من بطون الأرض وعرض البحر وقد افتنوا في أسباب الإهلاك والتدمير ولم يكفهم أن يدمدموا على الناس ويأخذوهم بالبلاء عن إيمانهم وعن شمائلهم ومن خلفهم ومن تحت أرجلهم حتى قاموا على تسخير الرياح ليرموهم من فوق رؤوسهم بكل دهياء صيام على حين أن أهل الديانة الإسلامية الذي يتهمهم الظالمون بحب الفتح والجهاد ويشينون سمعتهم بحب الطعن والجلاد والولوغ في دماء العباد هم اليوم أهل السكينة والسلام وهيهات أن يدانوا أهل الديانة المسيحية في المباراة بحب الفتوح والحروب أو يشاكلوهم في ادخار آلات الحرب واستنباط معدات الكفاح .

مهما دعيت إلى الهيجاء قمت لها تزمي بأسد ويرمي الله بالرجم[1]
علي لوائك منهم كل منتقم لله مستقتل في الله معتزم[2]
مسبح للقاء الله مضطرم شوقا على سابح كالبرق مضطرم[3]

---

[1] "الهجاء" الحرب "الرجم" النجوم التي يرمى بها

رجع إلى خطابه ﷺ وشبه أصحابه بالأسود لما لهم من شجاعتهم وبأسهم ورميه بهم كناية عن ندبه إياهم للجهاد وتقديمهم إلى مواطن الطعن والجلاد.

"الرمي بالرجم" يكون للشياطين ففيه استعارة مكنية أي أنهم كالشياطين يرمون بالرجم

[2] "على لوائك" أي منضو تحت لوائك.. استعار العلو للتحتية استعارة تلميحية "معتزم" الاعتزام لزوم القصد واعتزم الرجل الطريق مضى فيه ولم ينثن.

[3] "مضطرم" الاضطرام توقد النار وتأججها "سابح" جواد شبه حميتهم ونشاطهم في الحرب وجولاتهم فيها باضطرام النار وتأججها وأخذها يمينا وشمالا واستعار الاضطرام لذلك المعنى ثم اشتق منه "مضطرم" على سبيل التبعية.

والأظهر أن الجار والمجرور في قوله "للقاء" متعلق بقوله "شوقا" وشوقا مفعولا لأجله.

لو صادف الدهر يبغي نقله فرمي بعزمه في رحال الدهر لم يرم [1]
بيض مفاليل من فعل الحروب بهم من أسيف الله لا الهندية الخذم[2]
كم في التراب إذا فتشت عن رجل من مات بالعهد أومن مات بالقسم[3]

---

[1] "يبغي" يريد والإرادة من الدهر مجاز عن التهيؤ قال تعالى "فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه" وشبَّه العزم بالسهم بجامع المضاء والنفوذ في كل وشبه الدهر بذي رحال بجامع التحول في كل وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو الدال على طريق الاستعارة المكنية "لم يرم" لم ينتقل ولم يتحول

وقال أبو تمام في مثل هذا المعنى وأبدع ؛

مشت قلوب أناس في صدورهم لما رأوك تمشي نحوهم قدما
أمطرتهم عزمات لو رميت بها يوم الكريهة ركن الدهر لانهدها

[2] "مفاليل" الفل الثلم في السيف "الهندية" نسبة إلى الهند، وكانت مشتهرة بطبع السيوف.. "الخذم" جمع خذم ككتف السيف القاطع..

"بيض" أي سيوف بيض شبههم بالسيوف لإزهاقهم نفوس الأعداء وهو تشبيه بليغ "مفاليل" ترشيح للتشبيه بالسيوف.

[3] "بالعهد" أي احتفاظا بما عاهد الله ورسوله عليه من نصرته رسول الله ﷺ وقتاله بين يديه حتى قتل أو تضع الحرب أوزارها قال تعالى "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

لولا مواهب في بعض الأنام لما تفاوت الناس في الأقدار والقيم[1]
شريعة لك فجرت العقول بها عن زاخر بصنوف العلم ملتطم[2]

فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا "بالقسم" أي برا بالقسم

"من" تفصيل لحال "الرجل" أو تفصيل لمعنى "كم"

[1] أشار في هذا البيت إلى أن ما ناله أصحاب الرسول رضوان الله عليهم من الفوز بالسعادة وارتفاع الدرجة عند الله تعالى إنما كان بما تقدم لهم من الفضائل والبلاء في نصرة الدين وتعرضهم للقتل والطعن في سبيل الله تعالى ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس ولا عدت درجتهم منزلة غيرهم من العالمين .

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والإقدام قتال

وقد أجرى البيت مجرى المثل

[2] "شريعة" التنوين فيها للتعظيم وهو المسوغ للابتداء بالنكرة أو أن "لك" صفة وجملة "فجرت العقول بها" خبر

شبه العقول بالعيون الجارية بالماء في جوف الأرض وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمة وهو "التفجير" على سبيل الاستعارة المكنية .

"زاخر" صفة لموصوف محذوف أي بحر زاخر.. شبه العلم بالبحر بجامع الأحياء في كل على سبيل الاستعارة التصريحية "وعن"بمعنى من .

يلوح حول سنا التوحيد جوهرها كالحلي للسيف أو كالوشي للعلم[١]
سمحاء هامت عليها أنفس ونهى ومن يجد سلسلا من حكمة يحم[٢]
نور السبيل يساس العالمون بها تكفلت بشباب الدهر والهرم[٣]

---

[١] "الوشي" النقش

[٢] "حامت" عطفت ومالت.. "نهى" جمع نهية وهي العقل.. "السلسل" الماء العذب.

"من حكمة" بيان للسلسل فهو مجاز بالاستعارة على حد قوله تعالى "حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر".

المعنى أنه لسماحتها ووضاحة محجتها ونصاحة أحكامها "وما جعل عليكم في الدين من حرج" قد سلمت بها العقول وآمنت بها القلوب وأسرعت إليها النفوس حتى شاعت في أطراف الأرض في اليسير من الزمان، والحال كذلك في كل سائغ نافع ألا ترى إلى الناس متى أصابوا الماء العذب أقبلوا عليه ينقعون به غلتهم وتركوا ما دونه.

وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل

[٣] "نور السبيل" لأنها يهتدى بها إلى غاية النجاح والفلاح في الدنيا والفوز والسعادة في الآخرة "شباب الدهر والهرم" كناية عن أوله وآخره أو عن حالتي إقباله وإدباره وتكفلنا بشباب الدهر إلخ.. أي تكفلها بما يعلي أهلها ويصلح من شأنهم على كل حال من الأحوال بلا تغيير في أحكامها ولا تبديل لنصوصها .

يجري الزمان وأحكام الزمان على حكم لها نافذ في الخلق مرتسم [1]
لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت مشت ممالكه في نورها التمم[2]
وعلمت أمة بالقفر نازلة رعي القياصر بعد الشاء والنعم[3]

---

[1] نسبة "الجري" للزمان مجاز والمراد أهله "أحكام الزمان" أحواله فلا تخص بحال دون حال لعمومها ومناسبتها لكل زمان ومكان وفيه رد على من يزعم تخصيصها بأمة العرب فإن الله أرسل رسوله للناس أجمعين إلى أن تقوم الساعة وجعل رسالته قدرا مشتركا بينهم لا فرق بين متقدمهم ومتأخرهم باديهم وحاضرهم وهو العليم بما يوافق مصالحهم على تفاوت أحوالهم واختلاف طبائعهم "تنزيل من حكيم حميد" . "

[2] "التمم" التام

[3] هذا البيت والبيت الذي قبله بمثابة البرهان على ما تقدمها من عموم الشريعة الإسلامية ونزولها بأسباب الفوز والفلاح للناس أجمعين على تعاقب الأزمان وتمايز الأحوال فإن أول من تلقاها من الناس العرب وكانوا أهل بداوة حرداء وجهالة مطبقة وفقر مدقع قد اصطلحت عليهم أسباب التلف والهلاك وبغى بعضهم على بعض فلم يبق فيهم إلا موتور يطلب يؤثر أو واتر مأخوذ في ثأر حتى لو أنهم استوفوا ما لهم من الدماء ما بقي على ظهر الجزيرة أحد فأدركهم الله تعالى بشريعة الإسلام فصلح فاسدهم واغتنى فقيرهم وتعلم جاهلهم وكثر قليلهم وعز ذليلهم فلما فتح الله لهم الفتوح وذلل لهم الأمم وأمكنهم من زمان الممالك أحكموا بالدين سياستها وأجملوا بالشريعة .

كم شيد المصلحون العاملون بها في الشرق والغرب ملكا باذخ العظم[١]
للعلم والعدل والتمدين ما عزموا من الأمور وما شدوا من الحزم [٢]
سرعان ما فتحوا الدنيا لملتهم وأنهلوا الناس من سلسالها الشبم[٣]

رعياتها وقادوها إلى أبعد غايات السعادة والنجاح، وناهيك بما اتسق لهم في ملك الأندلس من الحضارة الباهرة، وما أزهر في عهدهم من العلوم والفنون وما أخرجوا للناس من وجوه الصناعات إلى غير ذلك مما أخذه عنهم أهل الغرب وجعلوه أساس مدنيتهم التي يعاجزوننا بها اليوم .

[١] "باذخ" عال..

شبه الملك الذي أقاموه بالقصر الفخم وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمة وهو التشييد على طريق الاستعارة المكنية والتشييد تخييل و"باذخا" ترشيح

[٢] "الحزم" جمع حزام "للعلم" خبر مقدم والمبتدأ "ما عزموا" وقدم الخبر ليفيد الحصر أي أن سعيهم كان خالصا لنشر العلم وإقامة العدل وأخذ الناس إلى أقصى غايات الحضارة والتمدن والرقي.

وشدهم الحزم كنتية عن اجتهادهم في سعيهم لهذه الاغراض

[٣] "سرعان" اسم فعل يستعمل خبرا محضا وخبرا فيه معنى التعجب يقال سرعان ما فعل كذا أي ما أسرعه "والنهل" أول الشرب تقول أنهلت الأبل إذا شربت من أول الورد "السلسال" الماء العذب "الشيم" البارد.

رواء لهـا هـداه النـاس فهـي بهـم إلــي الفــلاح طريــق واضــح العظــم[1]
لا يهدم الدهر ركنا شاد عدلهم وحــائط البغــي إن تلمســه ينهــدم[2]

تجوز بالإنهال عن نفعهم بأحكام الشريعة وتعليمهم إياها وقوله "من سلسالها "من إضافة المشبه به للمشبه.

[1] "ساروا عليها" أخذوا بها وجروا على أحكامها.. "هداة الناس" أي حالة كونهم هادين للناس "فهي" أي الملة "بهم" أي بسبب قيامهم بها ونشرهم لها.

[2] "شاد عدلهم" صفة لقوله "ركنا" والعائد محذوف أي شاده.

شبه الملك الذي أسسوه بالقصر ذي الركن الشديد الذي لا يحيف عليه الزمان ولا تعمل فيه أيدي الحدثان لأنه أسس على العدل والتقوى . وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو الركن على طريق الاستعارة المكنية ..

"وحائط البغي" شبه البغي بيت قائم على أساس واه بحيث إذا لمسه لامس هوى وانقض لأنه أسس على شفا جرف وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو الحائط على طريق الاستعارة المكنية .

"أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين".

نالوا السعادة في الدارين واجتمعوا على عميم من الرضوان مقتسم[1]
دع عنك روما وآثينا وما حوتا كل اليواقيت في بغداد والتوم[2]

والبيت يشير إلى قولهم العدل أساس الملك

وقد ذهب في الشطر الثاني مذهب المثل

[1] "نالوا السعادة في الدراين" نالوها في الدار الأولى وكتب لهم في الدار الآخرة.

[2] "روما" هي المدينة المعروفة الآن بهذا الاسم قاعدة لمملكة إيطاليا وكانت في الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة.

"أثينا" قاعدة مملكة اليونان الآن وكانت من أكبر مدن الأمم اليونانية في العصور السالفة.

"بغداد" قاعدة الخلافة الإسلامية في دولة بني العباس..

"التوم" جمع تومة وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل الدرة

كانت الدولة اليونانية في القرون الأولى منبعا للعلوم والمعارف ومصدر النظار في تكوين الممالك وقد بلغ أهلها على الخصوص درجة راقية من بين الأمم في العلوم العقلية والفلسفية تعد إلى اليوم أساسا لطلاب هذه العلوم في أنحاء العالم وبلغت من البأس في الحروب شأوا يضرب به الأمثال ووصلت في وضع الأحكام وتسنين القوانين إلى حد احتذته بقية الأمم بعدها وبالجملة فقد كانت المدينة اليونانية من أمهات المدينات في العالم ثم أعقبتها دولة الرومان وتغلبت على القسم الأعظم من العالم .

وخـل كسـري وإيوانـا يـدل بـه هـوى علـى أثـر النيـران والأيـم[1]

واستولت على المدينة اليونانية فأخذت منها أحاسنها وطرائفها وأضافتها إلى ما كان لديها من مدنيتها وانتفعت في تكوين نظامها بما وضعه فلاسفة اليونان وحكماؤهم وحولت ما هناك من علوم البحث والنظر إلى الوضع والعمل فكان لها القدح المعلى في باب تسنين القوانين ووضع أصول الأحكام ولا يزال طلاب الأحكام الوضعية يتدراسون قانونهم إلى اليوم . ثم أنهم فاقوا الأمم جميعا في أبواب الرفة والرف والتفنن في استنباط اللذائذ وبلغوا من ذلك مبلغا لا يزال الغرب إلى اليوم يقلدهم فيه .

ثم جاء الإسلام بالشرع الإلهي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وظهرت مدنية الإسلام فبزت مدينة الدولتين في العزة والمنعة والقصد والعدل والفضيلة والتنزه عن الجري مع الشهوات الباطلة فأزهر العلم وربت المعارف ووصلت مدنية الإسلام في عهد بني العباس إلى غاية لم تلحقها أمة من الأمم، وكانت سرة مدائنهم بغداد التي اجتمع لها من أسباب المدنية الصحيحة والحضارة الراقية ما لم يجتمع لمدينة غيرها . فذلك قوله "كل اليواقيت في بغداد والتوم".

وحرك الواو اتباعا لحركة التاء قبلها

[1] "كسرى" لقب لكل من يلي ملك فارس "النيران" لعله يريد بها نيران فارس التي خبت ليلة مولد النبي ﷺ وكان ذلك في أيام كسرى أنو شروان "الأيم" في القاموس الأيام ككتاب الدخان ولعله المقصود هنا لمناسبة "النيران"

واترك رعمسيس إن الملك مظهره في نهضة العدل لا في نهضة الهرم[1]

بعد ما قارن في البيت السابق بين مدنية الإسلام ومدنية الدولتين عطف على الدولة الفارسية فأشار إلى أن أرقى ما انتهى إلى الناس من أمر مدنيتها هي تلك البنية "الإيوان" التي افتنت في تشييدها وتنسيقها ولبثت السنين الطوال تفاخر بها الأمم وتعاجز بها الدول وها هي ذي قد تصدعت ليلة مولد صاحب الشريعة الإسلامية صلى الله عليه وسلم ودرست آثارها بعد ذلك كما خدمت نيرانهم التي قيل إنه قد مضى عليها ألف عام لم تخب في غضونها لمحة واحدة فأين هذا وذاك من مدنية الإسلام التي أنافت بالجوزاء رفعة وعلاء وعمت الخلقين نورا وضياء .

[1] "الهرم" الأّهرام في مصر كثيرة وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة وأكبرها أشهرها أعجبها حتى إذا ذكر لفظ "الهرم" صرفه العرف إليه .

"رعمسيس" اسم بعض الفراعنة "ملوك مصر القدماء" وقد تسمى بهذا الاسم غير واحد منهم ولعل الشاعر يريد أولئك الفراعين على الجملة الذين ينتسب مجدهم إلى مثل هذا العمل الخطير وإن كان باني الهرم ليس "رعمسيس" بعينه.

يقول: ما كان لقدماء المصريين أن يفاخروا بمدينتهم التي كان أسمى مظاهرها هو هذا البنيان السامق على حين أمسى أكبر الأدلة على ظلمهم وجبروتهم وأي مدنية هذه التي تزين لرجل واحد أن يسوق من رعيته مائة ألف رجل أو يزيدون فيحملهم الأثقال ويسخرهم في مشاق الأعمال حتى إذا ما دقت أعناقهم واختلفت أضلاعهم وفتت سواعدهم التقط غيرهم من .

دار الشرائع روما كلما ذكرت دار السلام لها ألقت يد السلم[1]

ما ضارعتها بيانا عند ملتئم ولا حكتها قضاء عند مختصم[2]

أمته التي أوشكت أن تفنيها ثلاثون سنة على هذه الحال بلا أجر ولا جزاء كل ذلك ليبني قبرا لنفسه يطاول كيوان وتبلى دونه الأزمان .

ليس هدا بمظهر التمدن إنما مظهره العدل الذي تصلح به الأحوال الرعية وتستقيم به أمورهم فتنهض بهم الدولة ويعلو شأن الأمة والعدل أساس الملك .

[1] "دار السلام" بغداد "والسلم" التسليم

[2] "ملتئم" مجتمع "مختصم" بمعنى المصدر أي اختصام

كما اشتهرت "روما" بقضائها وقوانيها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها وكان من عادة الرومانيين إذا نزل بهم الأمر العظيم نفروا إلى بعض أماكنهم العامة فخطبهم الخطباء وأنشدهم الشعراء الذين كان لفصاحة ألسنتهم في الناس تأثير عجيب، ومع هذا فما دانوا في قضائهم شأو بغداد التي كان يقضى فيها بدين الله وهو أجل من أن يقاس به غيره ويوازن به ما سواه ولا بلغوا في فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية الذين تقاولوا في كل باب فهزوا النفوس وخلبوا الألباب حتى إن بعض الأمراء كانوا إذا امتنع عليهم فتح قلعة أو تعذر عليهم امتلاك حصن أو أوشك أن يسطو بجيوشهم العدو أنشدوا في عسكرهم ما ينظم شعراؤهم في أبواب الحماسة فحميت نفوسهم وقويت قلوبهم واشتد بأسهم وجرفوا عدوهم ويسر لهم .

ولا احتوت في طراز من قياصرها علـى رشـيد ومـأمون ومعتصـم[1]

ما كان قد امتنع عليهم فكان شعر الشاعر وقول الكتاب أقوى لظهورهم من إسعافهم بالجيوش وإمدادهم بالكتائب ولا نطيل القول في هذا الباب فإن المقام غني عن التبيين.

[1] "الطراز" علم الثوب والجيد من كل شيء "ما احتوت على رشيد الخ" أي على أمثالهم في الفضل والعدل والحزم .

"رشيد" هو هارون الرشيد بن محمد المهدي الخليفة العباسي المشهور ولي الخلافة بعد أخيه موسى الهادي عام سبعين ومائة. كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وعلمائهم وفصحائهم وكرمائهم أحسن سياسة الرعية وأقام فيها القسط وقدم أهل العلم والفضل فاستقام له الملك وازدهرت في عهده الدولة واتسعت رقعة المملكة حتى جيء إليه بمعظم الدنيا وكان يحب الشعر والشعراء ويجزل لهم الصلات فكان للأدب في أيامه شأن عظيم .

قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاما وزخرف مجلسه وأحضر أبا العتاهية وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا؛ فقال أبو العتاهية

عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد أحسنت ثم ماذا فقال

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور

فقال حسن ثم ماذا فقال

فإذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا ما كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد؛ فقال الفضل بن يحيى: بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته.. فقال الرشيد: دعه فإنه رآنا في عمى فكره أنا يزيدنا منه.. وحج مرة ماشيا ولم يفعلها خليفة غيره وكان يتواضع للعلماء ويدني منه مجلسهم قال أبو معاوية الضرير وكان من أفاضل العلماء: أكملت مع الرشيد يوما فصب على يدي الماء رجل فقال لي يا أبا معاوية أتدري من صب الماء على يدك فقلت لا يا أمير المؤمنين قال: أنا، فقلت يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا إجلالا للعلم.. قال: نعم، وكان الرشيد عالما شاعرا راوية للأخبار

ومات بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة

"مأمون" هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور، بويع له بالخلافة بعد أخيه محمد الأمين سنة ثمان وتسعين ومائة . كان المأمون من أفاضل الخلفاء وعلمائهم وحكمائهم حاط دولته بالحزم والعزم وكان فطنا شديدا كريما فحص علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها إلى العربية وقرب أهل العلم والحكمة وعقد مجالس المناظرة واجتمع له في هذا الباب ما لم يجتمع لخليفة غيره، وكانت إحدى هناته العظيمة القول بخلق القرآن وقد لج في ذلك وألزم الناس أن يقولوا به وغلظ على العلماء وآذى من لم يقل مقالته من أئمة الدين ولولا أن تقدمت له هذه ما فضله من العباسيين أحد . ومات بثغر طرسوس سنة ثماني عشرة ومائتين.

ومات بغرطرسوس سنة عشرة ومائتين

"معتصم " هو أبو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ولي الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون وكان المعتصم سديد الرأي شديد المنة شجاعا سلخ سني خلافته في الفتوح والحروب وفتح عمورية في نسة ثلاث وعشرين ومائتين.

والسبب في غزوها أن ملك الروم خرج إلى بعض بلاد المسلمين ونهب حصنا من حصونهم يقال له "زبطرة" وقتل من به من الرجال وسبى الذرية والنساء، وكان في جملة السبي امرأة هاشمية فسمعها بعض تبعه وهي تقول وامعتصماه فقال لها سيوافيك المعتصم على بلق الخيول.. يتهكم عليها ويسخر منها.. وانتهى إلى المعتصم ذلك فاستعظمه وصاح من مجلسه.. "لبيك لبيك" ونهض من فوره وصاح في قصره: "الرحيل الرحيل" وكفأ آنيته ثم ركب دابته ومسط خلفه شكالا وحقيبة فيها زاده وأمر العسكر بالتبريز ثم سار فظفر ببعض الروم فسأله عن أحصن مدنهم وأعظمها وأعزها عندهم فقال له إن عمورية هي عين بلادهم وأمنعها فقصد إليها وجمع عساكره عليها وحاصرها ثم فتحها وقتل فيها وفي بلادهم وسبى وأسر وبالغ في تأديبهم حتى هدم عمورية وعفى آثارها.

وفي هذه الواقعة قال أبو تمام بائيته المشهورة التي أولها .

السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب

ومنها يخاطب المعتصم

خليفة الله جازى الله سعيك عن جرثومة الدين والإسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها تنال إلا على جسر من التعب

ومنها يشير إلى مبالغة المعتصم في قتالهم واستئصاله إياهم

لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على بأن بأهل ولم تغرب على عزب

من الذين إذا سارت كتائبهم تصرفوا بحدود الأرض والتخم[1]
ويجلسون إلى علم ومعرفة فلا يدانون في عقل ولا فهم[2]
يطأطيء العلماء الهام إن نبسوا من هيبة العلم لا من هيبة الحكم[3]
ويمطرون فما بالأرض من محل ولا بمن بات فوق الأرض من عدم[4]

ومات المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين

[1] "الكتائب" جمع كتيبة وهي الجيش.. "التخم" كعنق جمع تخوم وهي الفواصل بين الأرضين من العالم والحدود

[2] كانت عادة الخلفاء من بني أمية وبين العباس إذا فرغوا من النظر في أمور الدولة وانتهوا من مجالس القضاء والحكومة بين الناس دعوا من ببابهم من العلماء والأدباء والشعراء فعقدوا بحضرتهم مجالس العلم والأدب وكان لأكثرهم فقه في ادلين وتقدم في تحصيل العلوم ورواية الأخبار وحسن نظر في نقد الشعر وخبرة بمواضع الكلام .

[3] "طأ طأ" الرجل رأسه، خفضها.. "الهام" جمع هامة، وهي رأس كل شيء "نبسوا" تكلموا فأسرعوا والمراد هنا مطلق التكلم،

وحرك الكاف اتباعا لحركة الحاء قبلها وبجوز أن يكون بفتحتين والحكم الحاكم والأول هو الأنسب

[4] "المحل" الجدب "العدم" فقدان المال

وأخبار عطاياهم وهباتهم وما ألطفوا الناس به من الطرائف وأقطعوهم من الضياع وأجروا عليهم من الوظائف قد احتشدت به الكتب.

خلائـف الله جلـوا عـن موازنـة فـلا تقيسـن أمـلاك الـورى بهـم [1]
من في البرية كالفاروق معدلة وكابن عبد العزيز الخاشع الحشم[2]

وامتلأت بـه بطـون السـير وإن كـان بعضـها قـد غـالى فـي ذلـك وذهـب فـي تقـدير عطاياهم ومنحهم مذهبا أخرجها عن الحد وجاوز بها القصد وحملوا الكل وأحسنوا جوائز من قصدوهم من الأدباء والشعراء .

وحرك الدال اتباعا لحركة العين قبلها في قوله "العدم" .

[1] "خلائـف الله" هـذا قـول مستأنف عـام لجميـع الخلفـاء المتقـدمين والمتـأخرين وذكـر الخلفـاء الراشـدين بعـده مـن ذكـر الخـاص بعـد العـام اهتمامـا بشـأنهم وتيمنـا بذكرهم .

وكيف لا يعد تنقصا لقدرهم ووترا لحقهم أن يقاس به غيرهم من الأمراء أو أن يلـتمس لهـم شـبيه بـين ملـوك الأمـم ودهاقينهـا وهـم ورثـة الرسـول ﷺ الـذين اصطفاهم الله لصحبته فتقدمت عنده رتبتهم وعنه أخذوا حكم الأمم وسياسة الدول وأثر ذلك ما تعرف من أمر خلافتهم وذلك أشهر من أن يحتاج إلى التعريف وأظهر من أن يحتمل البيان .

ووصل بهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لشدة فضله وورعه وتشبهه بهم واقتدائه في حكومته بحكومتهم فكان حقيقا أن يذكر فيهم ويلحق بهم .

[3] "المعدلة" العدل..

"الفاروق " هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسمي فاروقا لتفريقه بين الحق والباطل بمعنى تحقيقه الحق وإدحاضه الباطل .. كان عمر رضي الله عنه أعدل الناس وأمضاهم في الحق وأرعاهم لإقامة حدود الله تعالى، واستقصاء أخباره في هذا الباب مما يطول به القول.. وفي هذا المثال الذي نرويه لك غنى وكفاية يعرف منه من لا يعرف عمر كيف كانت شدته في الحق وإسراعه إلى أخذ الناس بالعدل بالغين ما بلغوا من عظم القدر ونباهة الذكر .

روي أن جبلة بن الأيهم بن أبي شمر الغساني آخر ملوك الغسانين لما أراد الإسلام أقبل إلى المدينة في خمسمائة فارس عليهم ثياب الوشى وهو لابس تاجه وفيه قرط ماريه ففرح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بإسلامه وفرح المسلمون وخرجوا لتلقيه حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر رضي الله عنه، وبينما هو يطوف بالبيت إذ وطئ على إزاره رجل من بني فزارة فحله، فلطمه جبلة فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب فبعث إليه فقال ما دعاك يا جبلة إلى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه فقال إنه وطئ إزاري فحله، فقال له عمر أما أنت فقد أقررت إما أن ترضيه وإلا أقدته منك.. قال أتقيده مني وأنا ملك وهو سوقة.. قال: يا جبلة إنه قد جمعك وإياه الإسلام فما تفضله بشيء إلا بالعافية.. قال: والله لقد رجوت أن أكون في الإسلام أعز مني في الجاهلية.. قال عمر: هو ذلك.. قال: أخرني إلى غد يا أمير المؤمنين.. قال: ذلك لك فلما كان جنح الليل خرج هو وأصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر وأقام عنده

"ابن عبد العزيز" هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الأموي .

وكالإمـام إذا مـا فـض مزدحمـا بمدمع فـي مـآقي القـوم مـزدحم [1]
الزاخر العذب في علم وفي أدب والناصر الندب في حرب وفي سلم[2]

بويع له بالخلافة بعد موت سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين..

كان عمر بن عبد العزيز من أفضل الخلفاء وأعلمهم وأورعهم وأزهدهم وأرغبهم في العمل للآخرة وكان له في باب الزهد والتقشف ما لم يسمع بمثله عن خليفة بعده ملك الأمم وجاب أقطار الأرض وقد ساس الناس وأقام العدل وانتصف لرعيته حتى من نفسه وخاصة أهله ورد المظالم حتى مضى بعدله المثل فاشتد في عهده ساعد الدولة وقام به عمود الملة..

ومن أحسن ما يؤثر له أن عبد الملك بن مروان دعاه إليه مرة في جوف الليل فأقبل عليه فإذا الخليفة جالس وبين يديه رجل مكبل بالحديد والسياف قائم على رأسه فقال له يا أبا حفص ما قولك في رجل سب أمير المؤمنين وسب أباه فقال سبه كما سبك وسب أباه كما سب أباك فغضب من ذلك عبد الملك وأمر بالرجل فقتل.. وتوفي عمر رحمه الله بدير سمعان سنة إحدى ومائة

[1]" "الإمام "هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه "مآقي" جمع مأق وهو من العين طرفها مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع .

[2] "الندب" في لسان العرب يقال رجل ندب خفيف في الحاجة سريع ظريف نجيب.

كان الإمام رضي الله عنه أفصح الناس إذا خطب وأبلغهم إذا كتب أما علمه وفقهه فالبحر لا يدرك غوره ولا ينزف غمره ومن قرأ سيرته

أو كـابن عفـان والقـرآن فـي يـده يحنـو عليـه كمـا تحنـو على الفطـم [1]
ويجمـــع الآي ترتيبـــا وينظمهـــا عقـدا بجيـد الليـالي غيـر منفصـم [2]

وتتبع كلامه وكتبه عرف له أعظم من هذا وأبلغ.. وأما شجاعته في الحرب ونجدته في السلم فقد شاع القول فيهما على ألسنة الناس عامتهم وخاصتهم حتى لم يبق ثمت محل للتعريف ولا موضع للبيان.

[1] "بن عفان" هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه "الفطم" جمع فطيم وهو الصبي المفصول عن الرضاع

[2] قال الجلال السيوطي رحمة الله في كتاب الإتقان في النوع الثامن عشر في جمع القرآن وترتيبه ما نصه:

"قال الخطابي إنما لم يجمع ﷺ القرآن في المصحف لما كان يترقيه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله وبوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاءً لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر..

وقال الحاكم في المستدرك: جمع القرآن ثلاث مرات إحداها بحضرة النبي ﷺ والثانية بحضرة أبي بكر "إلى أن قال الحاكم.. والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان.. روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشآم في فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة؛ فقال

لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليكِ؛ فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم.. ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق إلى أن قال الجلال:

قال ابن حجر وكان ذلك في سنة خمس وعشرين

وأخرج ابن أبي داوود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤا في شيء أخروه قال محمد فظننت إنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونه على قوله

وقال القاضي أبو بكر في الانتصار: لم يقصد عثمان قصد أبي بكر في جمع نفس القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعه على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي ﷺ وإلغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ وتلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد..

وقال الحارس المحاسبي المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان

جرحان في كبد الإسلام ما التأما جرح الشهيد وجرح بالكتاب دمي[1]
وما بلاء أبي بكر بمتهم بعد الجلائل في الأفعال والخدم[2]

وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينهم وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القرآن فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القرآن المطلقات على الحروف السبعة التي أنزل بها القرآن فأما السابق إلى جمع الجملة فهو الصديق وقد قال علي لو وليت لعملت بالمصاحف التي عمل بها عثمان (انتهى)

[1] "وجرح بالكتاب دمي" أي وجرح دمي به الكتاب وقلب للمبالغة

وذلك أن قتلة عثمان رضي الله عنه دخلوا عليه الدار وخبطوه بالسيوف وهو صائم والمصحف في حجره وهو يقرأ فيه فوقع المصحف بين يديه وسال الدم عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

[2] لم يبل أحد من الناس بلاء أبي بكر رضي الله عنه في إغراء كلمة الدين ونصره رسول الله ﷺ وهو أول من آمن به وصدقه بظهر الغيب وآمن به وصدقه بظهر الغيب وآثره على نفسه خاصة أهله وكان أحب الناس إليه صلوات الله وتسليماته عليه وأعظمهم منه وضعا وأكرمهم محلا حتى قال ﷺ لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا.

وتعداد مناقبه وآثاره رضي الله عنه يحتاج إلى سفر خاص علي أنها

بالحزم والعزم حاط الدين في محن أضلت الحلم من كهن ومحتلم[1]
وحدن بالراشد الفاروق عن رشد في الموت وهو يقين غير منبهم[2]
يجادل القوم مستلا مهنده في أعظم الرسل قدرا كيف لم يدم[3]

أشهر من أن تنود بها الأسفار أو تقوم بتعريفها الأخبار

[1] يشير إلى ما كان من افتتان الناس يوم قبض رسول الله ﷺ حيث ارتد عن الإسلام كثير من الأعراب في النواحي المتفرقة وامتنعوا من أداء الزكاة فأزمع أبو بكر رضي الله عنه قتالهم فأشار عليه من حضره من كبار الصحابة بترك ذلك لئلا تفشو الفتنة ويشتد الخطب فأبى إلا هذا وعزم على الخروج إليهم بنفسه ولو لم يتبعه من الناس أحد، وقال: "والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه" فاستنفر الناس للجهاد وسير إليهم إحدي عشرة كتيبة فقاتلهم وكانت الغلبة للجيوش الإسلامية فأبادتهم قتلا وأسرا ورجع من بقي منهم إلى الإسلام وأدى الزكاة.

[2] يقول ما ظنك بتلك المحن التي تنحرف بعمر رضي الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمال الرشيد ووفور العقل وصدق اليقين وتذهله عن إدراك أمر من أظهر البديهيات لديه وهو أن يدرك الموت رسول الله ﷺ وكل نفس ذائقة الموت

[3] وذلك أنه لما قبض رسول الله ﷺ

وقال الناس مات رسول الله أسرع عمر إلى سيفه وتوعد من يقول ذلك وقال إني لأرجو أن

لا تعذلوه إذا طاف الذهول به مات الحبيب فضل اصب عن رغم[1]
يارب صل وسلم ما أردت على نزيل عرشك خير الرسل كلهم[2]

يقطع أيدي رجال وأرجلهم، فلما حضر أبو بكر وأخبر الخبر كشف عن وجه رسول الله ﷺ ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متتها.. ثم خرج إلى الناس وقال ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.. وتلا قوله تعالى "إنك ميت وإنهم ميتون" وقوله تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" الآية .

وقال عمر رضي الله عنه والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها .

[1] ما بعمر إنكار للموت ولا جحود لقول الله ولكن أذهلته شدة المصيبة وأي مصيبة أعظم من موت رسول الله ﷺ فلا لوم عليه فيما ملكه من الذهول ولا عتب عليه فيما تولاه عند هذه الحال من الجزع وأي امرئ لم يجزع وأي كبد لم تتصدع وأي عزم لم يتخذل وأي عقل لم يتزلزل .

لقد كان يدعي لابس الصبر حازما فأصبح يدعي حازما حين يجزع

[2] "نزيل عرشك" كناية عن ارتفاع درجته ﷺ

محـي الليـالي صـلاة لا يقطعهـا إلا بـدمع مـن الإشـفاق منسـجم [١]
مسبحا لـك جـنح لليـل محـتملا ضـرا من السهد أو ضـرا من الورم [٢]
رضـية نفسـه لا تشـتكي سـأما وما مع الحب إن أخلصت من سأم[٣]
وصـل ربـي علـى آل لـه نخـب جعلت فيهم لواء البيت والحرم[٤]
بيض الوجوه ووجه الدهر ذو حلك شم الأنوف وأنف الحادثات حمي[٥]
وأهـد خيـر صـلاة منـك أربعـة في الصحب صحبتهم مرعية الحرك[٦]

وقربه من ربه

[١] "الإشفاق" الخوف أي من الله تعالى "منسجم" منسكب

[٢] عن المغيرة بن شعبة.. قام ﷺ حتى انتفخت قدماه فقيل له "أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر" قال: "أفلا أكون عبدا شكورا".. وقال صاحب البردة رحمه الله: "ظلمت سنة من أحيا الظلام إلى أن اشتكت قدماه الضر من ورم"

[٣] "رضية" راضية

[٤] "النخب" جمع نخبة وهو الرجل المختار

[٥] "الحلك" محركة شدة السواد "الشمم" في الأنف ارتفاع القصبة وحسنها وهو هنا كناية عن الحمية وشرف النفس "وأنف الحادثات حمى" كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الأمر .

[٦] "الحرم" جمع حرمة وهي الذمة والمهابة وما لا يحل انتهاكه

الـراكبين إذا نـادي النبـي بهـم ما هال من جلل واشتد من عمم[١]
الصـابرين ونفـس الأرض واجفـة الضـاحكين إلى الأخطار والقحـم[٢]
يـارب هبـت شـعوب مـن منيتهـا واستيقظت أمـم من رقدة العدم [٣]
سعد ونحس وملك أنت مالكه تـديل مـن نعـم فيـه ومـن نقـم[٤]

و"الأربعة" أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين

[١]"هاله" الأمر هولا أفزعه "الجلل" هنا الأمر العظيم "العمم" الحادث العمم الطويل كربه الشديدة مشقته

[٢] "وجف" يجف اضطرب "القحم" الأمور العظام التي لا يركبها كل أحد

[٣] "هبت" انتبهت "الشعوب "جمع شعب وهو القبيلة العظيمة وقيل الحي العظيم

[٤] كلام مستأنف بمنزلة التعليل لما سبق أي أن ما كان من هبوب تلك الشعوب ونهوضها بعد طول رقادها إنما كان بأمر الله تعالى وقائه وهو سبحانه المنفرد بالتأثير فيما يتغير على خلقه من عزة وهوادة وارتفاع واتضاع "وتلك الأيام نداولها بين الناس" والمدر لكل ما يقع في ملكه من سعادة بعض الشعوب وإقبال الدولة عليهم ونحوسة بعضها وتنكر الأيام لهم "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير "

رأى قضـــاوك فينـــا رأي حكمتـــه أكـرم بوجهـك مـن قـاض ومنـتقم [١]

فـالطف لأجـل رسـول العـالمين بنـا ولا تــزد قومــه خســفا ولا تســم[٢]

يـارب أحسـنت بـدء المسـلمين بـه فتمم الفضـل وامتح حسن مختتم[٣]

---

[١] نسبة الرأي للقضاء مجاز أي رأيت بقضائك فينا "رأى حكمته" أي حكمة صاحب القضاء "قاض" بالخير "منتقم" من ذوي الشر

[٢] "لا تسم" سام يسود والسوم التكليف وأن تجشم إنسانا مشقة أو سوا

[٣] لا يخفى ما في "حسن مختتم" من حسن الختام

يقول الضعيف المفتقر إلى عفو ربه خادم العلم سليم بن أبي فراج ابن سليم البشري:

هذا ما جرى به القلم شرحا وبيانا لهذه القصيدة الحافلة بالمعاني الكثيرة في الأغراض المتفرقة، ولو أن الكاتب عمد إلى كل بيت ففسر غريبه وفصَّل مجمله وأفشى معناه ونزل عند مغازيه وعرض على وجه العربية مفرده ومركبه وأرسل الإشارة إلى كل ما وقع له من دقائق البلاغة وفنون البديع وطلب القصة التي يومئ إليها فيه ووازن بينه وبين ما يجانسه من الشعر ويسايره من الكلام وغير ذلك مما يجري في شرح الكلام ويدخل في أبواب نقده وتفسيره لطال القول وتجاوز القيد، ولكنا داورنا بين هذه الأغراض في جملة القصيدة وداولناها بين أبياتها وربما قلنا في تفسير معنى البيت وقصرنا القول في البيت الثاني على بيان الاستعارة ووجه الشبه وتجاوزنا هذا في الثالث إلى سرد القصة وتقرير الواقعة يشار إليها في البيت إيجازا للكلام ولنجعل للناشئ حول أبيات القصيدة فراغ يجول فيه ذهنه ويدور فيه فهمه فيقيس ما غاب عنه على ما تقدم له من التفسير والتأويل وينزل حكم الاستعارة في البيت علي ما شا كلها في بيت غيره فإن نكن أصبنا الغرض وأدركنا القصد في ما ذهبنا إليه

فذلك فضل الله وتسديده وإلا فمازال العبد مظنة العجز وموضع القصور .

هذا ولم نقل شيئا في فاتحة الكتاب تغنيما بما قاله سيد الكتاب محمد بك المويلحي

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا السفر خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به قارئه والناظر فيه

اللهم أعل أمر هذا الدين وأعز الإسلام والمسلمين اللهم وأقم من مجدهم ما تهدم وصل من حبلهم ما تصرم واهدهم صراطك المستقيم بيمن مولانا أمير المؤمنين ومولانا أمير مصر نصر الله بعهدهما عود الدولة وأقام بهما عمود الملة.

وصلى الله تعالي وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين

"سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين".